مجلة كلية الآداب (دورية أكاديمية علمية محكمة)

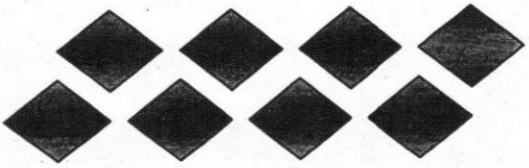

صورة المقاتل المغولي في المصادر غير العربية

د. أمام الشافعي محمد حمودي

مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية

بكلية اللغة العربية - جامعة الأزهر بأسيوط

أبحاث

صورة المقاتل المغولي في المصادر غير العربية

د . إمام الشافعي محمد حمودي

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين سيدنا محمد الهادي الأمين . وعلى آله وصحبه أجمعين ... وبعد :

فقد انبثق فجر القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي والشرق الإسلامي يستعد لاستقبال تلك الجيوش المغولية الجرارة ، التي اندفعت نحوه اندفاعاً من شمال آسيا الشرقي ، وبعد انطلاقهم من ديارهم ، تمكن فرسانهم من إنشاء أضخم إمبراطورية على اليابسة عرفها العالم .

وكان للمقاتل المغولي الدور الأكبر في بناء هذه الإمبراطورية ، حقيقة أن المقاتل عموماً ــ في أي عصر ومصر ــ له دور كبير في تأسيس الدول والممالك ، وحقيقة أن هناك عوامل أخرى ساعدت المغول في تكوين إمبراطوريتهم ؛ إلا أن المقاتل المغولي قد توفرت له العديد من العوامل والمؤثرات التي ساعدت على تكوين شخصيته وجعلت منه مقاتلاً ذو نمط خاص ، مختلف عن كل مقاتلي عصره .

إذ صور التاريخ المغول كفرسان من صنع الشيطان ، انقضوا كالكارثة على العالم المتحضر حينذاك ، ولا عجب في ذلك ، فقد كان كل مغولي مجنداً في خدمة دولته ، ومستعداً لحمل السلاح ، وخوض غمار القتال إذا ما أشار عليه قادته بذلك .

وقد عالج تاريخ المغول الكثير من المؤرخين المسلمين وغير المسلمين ومنهم من كتب باللسان العربي ، وغير اللسان العربي ، لكن

يمكـــن القـــول بـــأن الاعتماد على المصادر العربية في رسم صورة المقاتل المغولـــي الحقيقية ، أفضل من غيرها ؛ لأن المصادر الفارسية ــ أكثر من كتب عن المغول ــ إما كتبت بأيدي الشيعة المعادين لأهل السنة ــ أكثر من عانى من التتار ــ أو بأيدي موظفي التتار من الفرس وغيرهم ، وكلاهما لم يكن صادقا في رسم الصورة الحقيقية للمقاتل المغولي .

ــ ب ــ

هـــذا ومـــن الأســـباب التي دعتني إلي الكتابة عن هذا الموضوع [*صورة المقاتل المغولي في المصادر العربية*] ما يأتي :ــ

١ــــ أنني لم أعثر في المكتبة التاريخية العربية ــ على أقل تقدير ــ على أي بحث يتحدث عن هذا الموضوع ــ حتى كتابة هذه الأسطر ــ فأردت أن اخصه ببحث منفرد ، يوضح كل جوانبه .

٢ــــ أن المصادر العربية التي دونت تاريخ المغول ، متهمة دائماً بالتحامل علـــى المغول عموماً ، على أساس أن كتابها من سكان المنطقة العربية الإسلامية التي اكتوت بنيران الغزو المغولي ، فأردت أن أبين حقيقة هذا التحامل.

٣ــــ أن الانتصارات السريعة الساحقة التي حققها المغول على أعدائهم قد أعطت انطباعاً عاماً في نفوس معاصريهم من الأهالي والمؤرخين أيضاً ؛ بـــأن لهذا المقاتل قوة خارقة أسطورية ، فأردت أن أوضح ذلك ، هل كـــان الانتصار بالقوة الخارقة بالفعل ؟ أم أنها مجرد أسطورة لا أساس لهـــا من الصحة . وأن السبب هو ضعف نفوس أعدائهم عن مواجهتهم بحسم .

هذا . وقد قسمت البحث إلي مقدمة وتمهيد وخمسة فصول و خاتمة.

أمـــا المقدمـــة : فقـــد ذكرت فيها أهمية الموضوع وسبب اختياره وطريقة تقسيمه .

أمـــا التمهـــيد : فهو عن أهم المصادر الغير عربية التي ساهمت في تدوين تـــاريخ المغول ، وكذلك أهم المصادر العربية التي شاركتها

فـــي ذلـــك ، وذلـــك ليتضح السبب في أهمية الاعتماد على المصادر العربية في رسم صورة المقاتل المغولي .

أما الفصل الأول : فهو عن عوامل بناء شخصية المقاتل المغولي .

أمـــا الفصل الثاني : فعن بنية الجيش المغولي ، وموقع هذا المقاتل في هذه البنية

الفـــصل الثالث : فعن عتاد المقاتل المغولي من الأسلحة والملبس والمركب وغير ذلك .

الفصل الرابع : فعن طرق المقاتل المغولي في ممارسة القتال .

أمـــا الفـــصل الخـــامس : فهـــو عن صفات المقاتل المغولي التي صورتها المصادر العربية سواء كانت ذميمة أم حميدة .

أمـــا الخاتمة : فقد ذكرت فيها أهمية النتائج التي توصلت إليها الدراسة من خلال البحث .

ثـــم جاء ثبت المصادر والمراجع مرتبا حسب الحروف الهجائية ، ثم ختمت ذلك بفهرست عام للموضوعات .

وخـــتاما ... أرجو من المولى ــ عز وجل ــ أن ينتفع بهذا البحث المتواضع كل من يقرأه . هو نعم المولى ونعم النصير .

د/ إمام الشافعي محمد حمودي

مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية

بكلية اللغة العربية ــ جامعة الأزهر

بأسيوط

المصادر غير العربية (*) ودورها في تدوين تاريخ المغول

عالج تاريخ الغزو المغولي للبلاد الإسلامية والغير إسلامية عدد غير قليل من المؤرخين المسلمين وغير المسلمين ، منهم المعاصر ، ومنهم من كتب عن هذه الحقبة التاريخية بعد فوات حوادث الغزو بفترات طويلة أو قصيرة ، ولكل أهميته ولكل قيمته التاريخية ، وإن اختلفت وجهات نظر بعضهم عن البعض الآخر تبعاً لاختلاف أجناسهم وميولهم السياسية والدينية . فقد كتب عن المغول والخوارزميين مؤرخون صينيون ، ومؤرخون من الترك ، وكتب عنهم كذلك مؤرخون من الفرس . (١)

ومن أهم الكتب الصينية التي تناولت تاريخ المغول كتاب [التاريخ السري] وهو عنوان من وضع المحققين الصينيين ، ويبدو أكثر من مجرد مديح كتب لتعزيز سمعة جنكيزخان ... وهو ملئ بالملاحم والأساطير ، لكن بعضاً منه تؤيده مصادر صينية ... ويبدو أن مادح جنكيزخان الذي ألف كتاب[التاريخ السري] ربما كان مسيحياً من الطائفة النسطورية . (٢)

ومن الصينيين الذين تصدوا لتاريخ المغول [يى لو شو تساى Ye – lu chu tsai] وزير جنكيزخان ، ورفيقه فى حملته على غرب آسيا. فقد دون كتاباً وصف فيه البلاد التى اخترقتها الجيوش المغولية وصفاً أقل ما يقال عنه : إنه وصف شاهد عيان ، ويعرف الكتاب الذى خلفه [يي لو شو تساى] باسم [Si Ya lu] Account Of a journey to the west (٣) أي مشاهدات فى الرحلة إلى الغرب .

ومن الكتاب الصينيين كذلك [شانج شون Chang Chun] الأسقف الذى صحب جنكيزخان فى بلاد الشرق الإسلامي ، وقد دون أحد تلاميذه الذين كانوا فى رفقته مذكرات عن هذه الرحلة ، ويرجح أنه هو الذى أوعز بكتابتها ، وتعرف هذه المذكرات باسم[سى يوكي Si Ya ki] Travels

---

(*) المقصود بالمصادر الغير عربية هنا كل ما كتب عن تاريخ المغول بغير اللسان العربي سواء كان الكاتب مسلماً أم غير مسلم .

(١) النسوى : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى . تحقيق د/ حافظ حمدي . ط ــ دار الفكر العربي ــ القاهرة ١٩٥٣م . ص٢١ مقدمة التحقيق .

(٢) مايك ادواردز : جنكيزخان سيد المغول . الثقافة العالمية ــ مجلة دورية تصدر كل شهرين عن المجلس الوطني للثقافة ــ الكويت ــ عدد ٨٣ ص ٧٥ ــ ٨٠ .

(٣) النسوى : سيرة السلطان جلال الدين . ص٢١ مقدمة التحقيق حاشية رقم (١).

To The West Of Kiu Chang Chun ـــ أي رحـلات شانج شون إلى الغرب،وأما التلميذ الذى كتبها فيسمى[لى شى شانج Li Chi Chang]. [١]

أمـا فى أوروبا فقد اعتز الغربيون بالراهبين اللذين دخلا قراقورم فى عهد منكوقاآن وأتيا بمعلومات قيمة ، وهما روبروك وكاربينى ، لكن لا تـتعدى مذكـراتهما مـئة صـفحة ونيفاً جاءت فى كتاب The Mongol Mission ... وتباهى الغربيون كذلك بالرحالة [ماركو بولو] بأنه زار بلاط قوبـيلاى خـان فـى الصين وكشف بعض أسرار المغول ووصـف حياتهم وشيئاً من وقائعهم . [٢]

ولا تقـل رحلـة [أودوريـك دوبوردنون [*]] أهمية عن رحلات ماركوبولو نظراً للأمانة والدقة التي غلبت عليها ... فهي تشتمل على مادة خـصبة تعـد أساسية في التاريخ الحضاري للبلاد التى إرتحل إليها، خاصة الصين خلال النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي . [٣]

وإذا انتقلـنا إلـى المدرسة الإسلامية الفارسية التى عالجت تاريخ المغـول، نجـد أن بعض كتاب التاريخ قبل أواسط القرن السادس الهجري كانـوا يكتـبون باللغـة الفارسية ، وكان المؤرخون أنفسهم ثنائي اللغة ، ويكتبون تواريخهم غالباً بالعربية ، لكن ظهرت منذ هذه الفترة عائلة جديدة من كتب التاريخ الفارسية الخالصة التى لا تعتمد على المراجع العربية لأنها لا تعرفها ... وذلك بسبب الحاجز اللغوي . [٤]

كانـت اللغـة الفارسية قد توطدت بعد قرنين من الحكم السلجوقي والخوارزمـي ـ لإيران ـ فلما جاء المغول لم يستطيعوا إلا تبني هذه اللغة ، وبعـد أن كانـت لغـة السياسة والبيت فقط، أضحت لغة الثقافة والعلم . وبالـرغم من أن اللغة العربية بقيت لها حرمتها كلغة للقرآن والدين ، وبقى

---

(١) النسوي :سيرة السلطان جلال الدين .ص٢١ مقدمة التحقيق حاشية رقم ١ .

(٢) الجوينـي : تاريخ فاتح العالم . ترجمة د/ محمد التونجى . ط ـ دار الملاح ـ سوريا ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٨٥م . مقدمة الترجمة العربية . جـ١ ص١٥.

(*) ولـد [أودوريـك دوبوردنـون] فـى عـام ١٢٦٥م فـى ضاحية [فيلانوفا Villanova] القريبة من مدينة [بوردنون Pordenone] المنتسب إليها ... وكانـت أول رحلـة له إلى الشرق فى عام ١٢٩٦م ... توفى ودفن فى مدينة أودين سـنة ١٣٣١م . د/ علـي الـسيد : مـشاهدات أودوريك دوبوردنون الفرنسيـسكاني في الصين[١٣٣١م] . ط ـ كلية الآداب ـ جامعة الإسكندرية ـ لم تذكر سنة الطبع ـ ص١٠ .

(٣) المرجع السابق : ص١٠ ـ ١٢ .

(٤) شـاكر مـصطفى : التاريخ العربي والمؤرخون . ط ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٧٩م . جـ٢ ص٣٧٢ ـ ٣٧٣ .

العلمـــاء علـــى تعلمها وأحياناً على التأليف بها فى أمور الدين خاصة ، إلا أنهـــم انـــصرفوا فـــى الأدب والتاريخ إلى الكتابة بالفارسية [١] ، فقد شجع الملـــوك المغـــول التاريخ والمؤرخون رغبة منهم فى دخول التاريخ وإبراز قـــوتهم ومكانـــتهم كملـــوك فيه ، وقد كانوا من قبل قبائل بدوية تائهة فى الـــصحارى ... كمـــا تكاثـــرت المؤلفات الشيعية التاريخية أيضاً فى الفترة الأولـــى مـــن حكـــم المغول للعـــراق وإيران ... وذلك تعبيراً عن ابتهاجهم بسقوط الخلافة العباسية السنية . [٢]

ومـــن أشهر المؤرخين الذين عالجوا تاريخ المغول باللغة الفارسية كـــتاب الجوينـــي [*] [تـــاريخ فاتح العالم] الذي تضمن دقائق من أسرار المغـــول وتعييناتهم ، وتجهيز جيوشهم وطرق حربهم ... والخطط الحربية التى ساعدت المغول على نصرهم . [٣]

لكـــن مما يؤسف له أن الجويني عاش حتى ٦٨٣هـــ أى ما يقرب من عشرين سنة من انقراض الإسماعيلية ، وشاهد بنفسه انقراض الخلافة العباســـية ، وأغلـــب وقائـــع سلطنة هولاكو وأباقا وتكودار ، فى حين نراه يهمـــل تـــسجيل ذلك كله عمداً . ولا نرى سبباً معقولاً لتجاهله غير انشغاله التام بحكم بغداد ... فمع أنه شاهد بأم عينية سقوط بغداد وقتل الخليفة وما فعلـــه ســـيده فـــى حلـــب...لكنه قرر عدم البوح بسطر عن الغزو للأرض العربية،علـــى الرغم من أنه بحث عن مبررات وتعليلات للغزو المغولي فى المـــشرق حتى حدود العراق ، ولا عجب فى ذلك فقد كان الجويني ميالاً إلى المغـــول ، مشيداً بأعمالهم ، منشرح الصدر لانتصارهم [٤] ، فقد كان يكتب جـــزئياً ليدخل السرور على أسياده ، وكغيره من مؤرخي ذلك العصر ، فإنه لـــم يواجه حقيقة دون أن يبالغ فيها[٥] . وقد اتصلت أخبار عديدة من كتابه بالمؤرخـــين العرب واستفادوا منها كأبى شامة وابن كثير وابن تغرى بردي والقلقشندي.[٦]

---

(١) المرجع السابق . جـــ٣ ص٩٣ .

(٢) المرجع السابق : جـــ٤ ص٢٩٦ ، ٣٤٦ .

(*) هـــو عطـــا ملك بن محمد علاء الدين الجويني صاحب الديوان ببغداد والبلاد الـــشرقية كان إماما عالما ... له استقلال بفن الأدب مع الرياسة العظيمة توفى ســـنة ٦٨٣هـــ . اليونيني : ذيل مرآة الزمان . ط ـــ دار الكتاب الإسلامي ـــ القاهرة ـــ الطبعة الثانية سنة ١٩٩٢م . جـــ٤ ص٢٢٤ .

(٣) الجويني : تاريخ فاتح العالم . جـــ١ ص١٦ ـــ ١٧ مقدمة الترجمة العربية .

(٤) الجويني : تاريخ فاتح العالم جـــ١ ص١٧ ـــ ٤٣ مقدمة الترجمة العربية .

(٥) إدواردز : جنكيزخان سيد المغول . الثقافة العالمية عدد ٨٣ ص٧١ .

(٦) شاكر مصطفى : التاريخ العربي . جـــ٤ ص٣١٣ .

ومن المؤرخين باللغة الفارسية الهمذاني (*) فى كتابه [جامع التواريخ] ويسمى أيضاً [تاريخ غازاني] كان مشروع الكتاب فى الأصل لا يتعدى تاريخ السلطان غازان كتبه رشيد الدين زلفى لسلطانه وسماه [التاريخ المبارك الغازاني] وشرح فيه ما يتعلق بتاريخ المغول خاصة ... لكن غازان توفى سنة ٧٠٤هـ ، ولم يكمل رشيد الدين تبييض الكتاب ، وعلم أخوه خدا بندا بأمر رشيد الدين فأمره بإتمامه ... وقد أخذ الكثير من المؤلفين العرب عن جامع التواريخ ما كانوا يجهلون عن تاريخ المغول وأدخلوه فى مؤلفاتهم ... مثل الصفدى والنويرى وعن هؤلاء جميعاً انتشر فى الشام ومصر وغيرهما ما عرف فى العربية من تاريخ المغول . (١)

ومن المصادر الفارسية المهمة عن تاريخ المغول كتاب [تجزية الأمصار وتزجيه الأعصار] المعروف بوصاف الحضرة (*) وهو باللغة الفارسية فى خمس مجلدات تناول فيه تاريخ المغول وأمراء النواحي والأطراف فى عهد أبى سعيد بهادر (**) ويعد متمماً لجهان كشاى جويني ــ تاريخ فاتح العالم . (٢)

ومن المصادر الفارسية أيضاً كتاب [تاريخ بناكتى] أو [روضة أولى الألباب فى تواريخ الأكابر والأنساب] لأبى سليمان داود البناكتى، وهو من مؤرخي وشعراء بلاط غازان ، وقد ألف الكتاب بالفارسية وقدمه إلى السلطان أبى سعيد بهادر فى سنة ٧٠٧هـ ، وقد تناول فيه المؤلف تاريخ الأنبياء والملوك القدامى ... والهنود والصينيين والمغول . (٣)

ومن المصادر الفارسية المهمة التى تناولت تاريخ المغول ــ وإن

(*) هو أبو الفضل فضل الله بن أبى الخير بن عالي الهمذاني . ولد سنة ٦٤٦هـ وقتل سنة ٧١٧هـ ، كان جده اليهودي يعيش مع الإسماعيلية فى جبال قوهستان ، وحين سلمت قلاعهم للمغول اتصل بهم ودخل فى خدمتهم ... وأسلم . المرجع السابق : جـ٤ ص٣٢٣ .

(١) المرجع السابق : جـ٤ ص٣٢٤ ــ ٣٢٧ .

(*) هو عبد الله بن فضل الله الشيرازي ، وقد لقبه [بوصاف الحضرة] السلطان ألجايتو محمد خدابندا بعد أن مدحه بقصيدة من شعره فصار اللقب علماً عليه . المرجع السابق: جـ٤ ص٣٣٤ .

(**) أبو سعيد خدابندا بن أرغون بن أبغا بن هولاكو ، وهو آخر من ملك من بنى هولاكو بالعراق ... وبموته تفرقت المملكة بأيدي أقوام وصارت شبيه بملوك الطوائف. القلقشندي : صبح الأعشى فى صناعة الإنشا . ط ــ وزارة الثقافة والإرشاد ــ القاهرة ــ لم تذكر سنة الطبع . جـ٤ ص٤٢٠ .

(٢) ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار . تحقيق د/ أحمد الشاذلي . ط ــ المجمع الثقافي ــ أبو ظبي ــ الإمارات العربية المتحدة سنة ٢٠٠٣م . السفر الثالث ص١٥ .

(٣) المصدر السابق : السفر الثالث ص١٤ .

كانت متأخرة عن سابقتها ــ كتاب [دستور الوزراء] لخواندمير (*) ، لكنه يمتاز بين مؤرخي إيران بأنه كتب أكثر من الجميع باللغة الفارسية ، وقد تركزت كتاباته فى فن التاريخ الذى مال إليه وعشقه ... ومن المعروف أن جميع مؤلفاته مكتوبة بالفارسية ، وكتابه دستور الوزراء يتناول شرحاً لأحوال وزراء خلفاء الإسلام ووزراء سلاطين إيران ، بما فيهم وزراء المغول . (١)

وهناك مصدر آخر من المصادر المهمة التى عالجت تاريخ المغول وترجع أهميته إلى أن مؤلفه من سلالة خانات المغول أنفسهم ، ألا وهو كتاب [شجرة تركي] كتبه باللغة الجغتائية [أبو الغازي بهادرخان] أمير خيوة ، وأحد أحفاد جوجى بن جنكيزخان ، ويؤرخ هذا الكتاب للأتراك والمغول منذ نشأتهم حتى القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي . (٢) هذا ويجب القول بأن من دوّن تاريخ المغول بغير اللسان العربي كالصينيين والأوربيين والفرس ، لا يختلفون عمن دوّن تاريخ المغول باللغة العربية فى الاختلاف اللغوي فقط ، ولكن الاختلاف كان منصباً على الخلاف فى وجهه نظر المؤرخ بغير اللسان العربي ــ وإن كان مسلماً ــ عن وجهة نظر المؤرخ باللسان العربي فى تقييم الأحداث وتأويلها وبيان موقفه العام والخاص منها .

فلو أننا اكتفينا بدراسة كتب تاريخنا كالكامل والمختصر والسلوك والمنتظم ... ممن كانوا أعداء للمغول لقلنا إن هؤلاء بالغوا فى وصف بطش المغول ، لأنهم أعداء لهم ولأمتهم ... لكن إذا قارنا صورة المؤرخين الموالين للمغول بصورة المؤرخين المعادين للمغول، وصلنا إلى نتيجة واقعية حتمية واحدة هي أنهم شعب همجي ، عدو للحضارة والتقدم والأديان ... ولا فرق بين الفئتين فى تصوير التدمير ، إلا أن الواحدة تعرض السفك بصورة الشامت والأخرى تعرضه بصورة المتألم المتحسر . (٣)

(*) هو المؤرخ الإيراني الكبير غياث الدين بن همام الدين الحسيني المدعو بخواندمير ولد عام ٨٨٠هـ ... توفى فى أواخر عام ٩٤٢هـ ببلاد الهند . د/ حربي سليمان : المؤرخ الإيراني الكبير غياث الدين خواندمير كما يبدو فى كتابه دستور الوزراء ــ ط ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م . ص٣٥ ــ ٤٦ .

(١) المرجع السابق : ص٤٧ ــ ٥١ .

(٢) النسوى : سيرة السلطان جلال الدين . ص٢٢ مقدمة التحقيق .

(٣) الجويني : تاريخ فاتح العالم . جـ١ ص١٧ مقدمة الترجمة العربية .

دور المصادر العربية في تدوين تاريخ المغول

كان غزو جنكيزخان للشرق الإسلامي عنيفاً كل العنف ، فقد خرب بجيوشه كل ما صادفه في البلاد التي وطئتها أقدامه ، ونكل بالمسلمين وتفنن في تعذيبهم بشتى الوسائل والأساليب ، حتى كان الغزو المغولي موضع حديث المؤرخين المسلمين ، المعاصرين منهم وغير المعاصرين ... وقد دوّن هؤلاء ما وقع تحت حسهم وبصرهم ، وما أحس به المسلمون من آلام في ذلك الوقت . [١]

يأتي في مقدمة هؤلاء المؤرخين جميعاً المؤرخ الكبير ابن الأثير[*] الذي يعتبر من أبرز المؤرخين المسلمين بعد الطبري ومؤلفاته التاريخية تبرز ذلك ولعل من أهم ما أعطى التاريخ [الكامل] مكانه أن صاحبه تخير له المصادر ونستطيع أن نعد منها حوالي ٣٢ مصدراً ... وأنه إلى جانب هذا كان يلخص الأخبار أحسن تلخيص ويذكر أصح الروايات التي ارتضاها. [٢]

وقد اعتمد على ابن الأثير ــ خاصة ما يتعلق بتاريخ المغول ــ غالبية من جاء بعده من المؤرخين وكان في مقدمتهم أبى الفداء في كتابه [المختصر في أخبار البشر] الذي يقول في ترجمة ابن الأثير [٣] : " صنف في التاريخ كتاباً كبيراً سماه الكامل وهو المنقول منه غالب هذا المختصر" ونقل عنه أيضا ابن كثير الذي يقول عنه أيضاً ــ خاصة ما يتعلق بتاريخ المغول ــ[٤] : " وقد بسط ابن الأثير في كاملة خبرهم في هذه السنة بسطاً مفصلاً ، وقدم على ذلك كلاماً هائلاً في تعظيم هذا الخطب العجيب ... " . ونقل عنه ابن واصل من ذلك قوله [٥] : ذكر عز الدين بن الأثير أنه قد

---

[١] النسوى : سيرة السلطان جلال الدين . ص٢٣ مقدمة التحقيق .

[*] هو الشيخ عز الدين علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني المعروف بابن الأثير الجزرى . ولد بجزيرة ابن عمر سنة ٥٥٥هـ ونشأ بها وتوفى بالموصل سنة ٦٢٨هـ . أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر . ط ــ المطبعة الحسينية المصرية ــ القاهرة ــ لم تذكر سنة الطبع . جـ٣ ص١٥٤ .

[٢] شاكر مصطفى : التاريخ العربي . جـ١ ص١١٢ ــ ١١٣ .

[٣] المختصر : جـ٣ ص١٥٤ .

[٤] البداية والنهاية:ط ــ مكتبة المعارف ــبيروت ــ الطبعة الأولى سنة ١٩٦٦م . جـ١٣ ص٨٧ .

[٥] مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب : تحقيق د/ حسين ربيع . ط ــ دار الكتب المصرية ــ سنة ١٩٧٢م . جـ٤ ص٣٩ .

قيل إن السبب في خروجهم ... " . وممن نقل عنه من المؤرخين المتأخرين عن العصر المغولي الإمام السيوطي الذي يقول [1] :" قال ابن الأثير في كاملة : حادثة التتار من الحوادث العظمى ... " . كما نقل عنه أيضاً ابن خلدون [*] والمقريزي [**] وغيرهم من المؤرخين ، مما يجعل من كتابه في مقدمة المصادر العربية التي تناولت تاريخ الأمة المغولية .

يأتي بعد ابن الأثير من حيث الأهمية في الكتب المدونة لتاريخ المغول باللسان العربي المؤرخ محمد بن أحمد النسوى . حيث التحق النسوي بخدمة جلال الدين منكبرتى بعد أن عاد إلى بلاده من منفاه فى بلاد الهند ، فعهد إليه فيما عهد بوظيفة كاتب الإنشاء ... ولعل أخطر المناصب التي تولاها كان منصب الوزارة في مدينة [نسا [*]] ... فكان النسوى ملازماً لجلال الدين منكبرتى وقضى معه الشطر الأكبر من حكمه ، واستمر ملازماً له حتى آخر أيامه ... وهذا يدل على أهمية ما كتبه النسوى . [2]

وقد كتب النسوى سيرة جلال الدين منكبرتى [**] بعد وفاة جنكيزخان سنة ٦٢٤هـ / ١٢٢٧م ، بل بعد وفاة جلال الدين نفسه سنة ٦٢٨هـ / ١٢٣٠م . ولهذا الأمر خطورته عند الحكم على قيمة الكتاب نفسه كمصدر تاريخي ، من حيث إدراك تحرر المؤلف إلى حد ملحوظ ـ رغم ولائه لمن سرد سيرته ـ من قيود الكتابة. [3] وقد حدث هذا بالفعل، فإن النسوى كان كثيراً ما ينقد سيده جلال الدين من ذلك قوله [4] : " كان السلطان معتقداً أن التتار يشتى بالعراق ولن يتعدى إلى أذربيجان إلا فى الربيع يمنى نفسه بأمل كاذب ، وظن خائب ... " .

---

(1) تاريخ الخلفاء : تحقيق / محمد عبد الحميد . ط ـ مطبعة السعادة ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٥٢م . ص٤٧٠ .

(*) انظر مثلا . العبر وديوان المبتدأ : ط ـ مؤسسة حسان ـ بيروت ـ لبنان ـ جـ٥ ص١١٨ .

(**) للمزيد انظر : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار . ط ـ دار صادر ـ بيروت ـ لبنان ـ لم تذكر سنة الطبع . جـ١ ص٩٥ .

(*) نسا : مدينة بخراسان بينها وبين سرخس يوم ، وبين نيسابور ستة أو سبعة . ياقوت الحموي : معجم البلدان . ط ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان سنة ١٩٧٩م . جـ ٥ ص ٢٨٢ .

(2) النسوى : سيرة جلال الدين . ص٢٤ مقدمة التحقيق .

(**) للنسوى كتاب آخر بعنوان [نفثة المصدور فى قتور زمان الصدور وزمان صدور الفتور] كتبه بالفارسية سنة ٦٢٢هـ فى انقراض دولة الخوارزميين وهجمات المغول عليها . شاكر مصطفى : التاريخ العربي . جـ٢ ص٤٠٨ .

(3) النسوى : سيرة جلال الدين منكبرتى . ص١٧٠ حاشية رقم (٥) .

(4) النسوي : سيرة جلال الدين : ص٣٥٠ .

هـذا وقد اعتمد على النسوى الكثير من المؤرخين الذين أتوا بعده ودونـوا تـاريخ المغول وصراعهم مع الخوارزميين مثل أبي الفداء الـذى يقـول[1]: " والمنشى ــ يقصد النسوى ــ كان معه فلذلك كان أخبر بأحوال جـلال الدين ووالده من غيره " ، وكذلك ابن خلدون الذى يقول أيضاً [2] : " اسـتناب الـسلطان جـلال الدين فى أموره ــ فى نسا ــ محمد بن أحمد النـسائي المنـشى صاحب التاريخ المعتمد عليه فى نقل أخبار خوارزم شاه وبنيه " ، وكان النويري [*] كثيراً ما يذكر عبارة [قال المنشى] ــ النسوى ــ مؤلـف كتاب سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، ثم يسوق بعد ذلك روايته .

لكـن لـيس هناك من شك فى أن ابن الأثير ، رغم اختلافه بعض الـشئ مـع ما كتبه النسوى ، يعتبر حجة فيما دوّن عن حوادث الغزو. [3] وخيـر مـا يؤكد ذلك أن النسوى ذاته قد اعتمد على الكامل لابن الأثير فى بعض ما دونه من أحداث ، يقول النسوى عن ذلك [4] : " ورأيت الكامل من تأليـف علـي بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير ، يتضمن من أحاديـث الأمم عموماً ... ما شذ عن غيره " . ومن المؤرخين الذين كتبوا عن تاريخ المغول ــ خاصة نشاطهم العسكري ــ المؤرخ المملوكي بيبرس الـدوادار [**] . فمـع كـل هـذه الحياة الحافلة بالأعمال الجليلة والقطائف الخطيـرة استطاع بيبرس المنصوري أن يكتب تاريخه الضخم [زبدة الفكرة] ثـم [الـتحفة الملوكـية] ومؤلفاً آخر لم يصلنا هو [اللطائف فى أخبار الخلائـف] . ولـم يهتم المؤرخون المحدثون بكتاب [التحفة الملوكية فى الدولـة التـركية] الاهتمام اللائق به ، ولم يعيروه ما يستحقه من عناية ، ربمـا بـسبب اعتماده على السجع فى سرد الأحداث التاريخية ... غير أن [الزبدة] يقف عند مشارف سنة ٧٠٩هـ ، فى حين أن [التحفة] تمتد بنا إلى آخر سنة ٧١١هـ أي أنها تزيد على [الزبدة] ثلاث سنوات طوال من

---

(١) المختصر فى أخبار البشر : جـ٣ ص١٤٨ .

(٢) العبر وديوان المبتدأ : جـ٥ ص١٢٣ .

(*) للمزيد انظر : نهاية الأرب فى فنون الأدب . تحقيق د/ سعيد عاشور . ط ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٥م . جـ٢٧ ص٢٩٦ .

(٣) النسوى : سيرة السلطان جلال الدين . ص٢٣ مقدمة التحقيق .

(٤) المصدر السابق : ص٣٤ .

(**) هـو بيبرس المنصوري الخطائي الدوادار صاحب التاريخ المشهور ... كان مـن ممالـيك المنـصور وتنقل فى الخدمة إلى أن تأمر،وولاه المنصور نيابة الكرك. مات فى رمضان سنة ٧٢٥هـ. ابن حجر العسقلاني الدرر الكامنة في أعـيان المائـة الثامـنة . تحقيق الشيخ / عبد الوارث علي . ط ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان ــ الطبعة الأولى سنة ١٩٩٧م . جـ١ ص٣٠٠ ــ ٣٠١ .

تـــاريخ مصر [١] . وقد اعتمد على بيبرس الدوادار ومؤلفاته من جاء بعده مـــن المؤرخـــين مثل ابن تغرى بردى الذى يقول عن وفاة السلطان الظاهر بيبـــرس قاهـــر المغول [٢] : " قال الأمير بيبرس الدوادار في تاريخه وهو أعرف بأحواله من غيره " .

ومـــن المؤرخين الذين عاصروا فترة المغول وكتبوا عنها المؤرخ الـــشامي اليونينـــي [*] وذلك فى كتابه [ذيل مرآة الزمان] الذى يشتمل فى أجزائه الأربعة على دقائق من سنة ٦٥٤هـــ إلى سنة ٦٨٦هـــ [٣] . وكان مـــن المصادر التى اعتمد عليها ابن تغرى بردى فى كتابه النجوم الزاهرة . [٤] ومـــن أهـــم المـــصادر العـــربية التـــى كتبت عن تاريخ المغول المؤرخ ابـــن فـــضل الله العمري [**] ، وضع ابن فضل الله العمري كتابه [مسالك الأبـــصار فـــى ممالـــك الأمصار] فى سنة ٧٣٨هـــ ... والسفر الثالث من الكتاب يتناول الممالك الإسلامية فى مملكة الهند وبلاد المغول ... وقد اتبع المؤلـــف فـــى كتابه هذا على أكثر من منهج فى التأليف منها منهجه القائم علـــى الـــرواية والسماع ... ويشرح هذا المنهج قائلاً : " كنت أسأل الرجل عـــن بـــلاده ، ثـــم أســـأل الآخـــر والآخر لأقف على الحق ... " . [٤] ومن المؤرخين المهمين أيضاً الإمام الذهبي [***] ، وذلك فى كتابيه [تاريخ دول الإســـلام] و [ســـير أعلام النبلاء] وقد اعتمد على مؤلفاته من بعده ابن تغرى بردى [****] والإمام السيوطي [*****] .

---

(١) الـــدوادار : التحفة الملوكية فى الدولة التركية . تحقيق د/ عبد الحميد حمدان . ط ــ الدار المصرية اللبنانية ــ القاهرة الطبعة الأولى سنة ١٩٨٧م . ص٩ ــ ١٣ مقدمة التحقيق .

(٢) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة . ط ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان ــ الطبعة الأولى سنة ١٩٩٢م . جـــ٧ ص١٥٨ .

(*) هو موسى بن محمد بن أبى الحسن اليونيني البعلبكي ولد سنة ٦٤٠هـــ وتوفى سنة ٧٢٦هـــ . ابن حجر : الدرر الكامنة . جـــ٤ ص٢٣٣ .

(٣) اليونيني : ذيل مرآة الزمان . جـــ٤ ص٣٣٤ خاتمة التحقيق .

(٤) انظر على سبيل المثال : النجوم الزاهرة : جـــ٧ ص١٥٩ .

(**) هـــو أحمد بن يحي بن فضل الله بن يحيى بن دعجان العمرى ولد بدمشق سنة ٦٩٧هـــ كـــان يقرأ كتب البريد على السلطان ناصر الدين محمد بن قلاوون توفـــى ســـنة ٧٤٩هـــ.العمرى : مسالك الأبصار . السفر الثالث ص٦ مقدمة التحقيق .

(٤) مسالك الأبصار : السفر الثالث ص٩ ــ ١١ .

(***) هو محمد بن أحمد بن عثمان الحافظ أبو عبد الله شمس الدين الذهبي ولد سنة ٦٧٣هـــ ومات سنة ٧٤٨هـــ . ابن حجر : الدرر الكامنة . جـــ٣ ص٢٠٤ ــ ٢٠٥ .

(****) انظر النجوم الزاهرة : جـــ٧ ص٤٧ .

(*****) انظر تاريخ الخلفاء : ص٤٧٢ .

ومن أهم المؤرخين المتأخرين الذين جاءوا بعد العصر المغولي وكان له الدور الأكبر في كشف الكثير من نشاط المغول العسكري وغير العسكري المؤرخ المملوكي بدر الدين العيني ، في كتابه [عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان] حيث تضمن وثائق ضاعت أصولها ، أو أخرى استكتبها من أصحابها أنفسهم فكانت له بذلك أسبقية على كثير من مؤلفات غيره ... وقد دوّن فيه أخبار المغول والتتار وذكر ما أحدثه هؤلاء بالمسلمين [1] ، وميزته أنه يتكلم توسع عن علاقة بلاد الشام بحكومة هولاكو ويطنب في ذلك. [2]

هذا إلى جانب غيرها من المصادر العربية التي ساعدت في رسم الصورة الحقيقية للمقاتل المغولي ، مثل ابن كثير في [البداية والنهاية] والمقريزي في كتابيه [الخطط] و [السلوك لمعرفة دول الملوك] وأبي الفداء في [المختصر] وابن تغرى بردى في [النجوم الزاهرة] وابن الفرات في [تاريخ ابن الفرات] وابن أبى الحديد في [شرح نهج البلاغة] هذا إلى جانب غيرها من المصادر التي يضيق المقام عن ذكرها .

موارد [*] المصادر العربية في تدوين تاريخ المغول

تعددت موارد المصادر العربية التي اعتمدت عليها في تدوين تاريخ المغول ، إذ لم تعتمد على المصادر الفارسية التي خالط أصحابها الجنس المغولي أكثر من غيرهم ، فقد اعتمدت المصادر العربية على الموارد الأصلية المعمول بها في تدوين التاريخ عموماً ، والتي يأتي في مقدمتها المعاصرة والمشاركة الفعلية في الأحداث .

فمن المؤرخين الذين شاركوا في بعض الأحداث التاريخية المؤرخ المملوكي بيبرس الدوادار ، فنظراً لاشتراكه شخصياً في العديد من المعارك الحربية ، فإن شهادته تعتبر ذات دلالة خاصة ، وذلك بالنسبة للمعارك الحربية التى دارت ضد المغول فى الشام وآسيا الصغرى ... وهو لم يحاول

---

(1) العيني : عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان . تحقيق د/ عبد الرازق الطنطاوي . ط ــ الزهراء للإعلام العربي ــ القاهرة . الطبعة الأولى سنة ١٩٨٩م . ص ٤٣ ــ ٤٩ .

(2) شاكر مصطفى : التاريخ العربي . جـ٤ ص١١١ .

(*) إن المقصود من ذكر موارد المصادر العربية فى تدوين تاريخ المغول هو التأكيد على أصالة ما كتبته المصادر العربية عن تاريخ المغول ، لأنها امتازت بتعدد مواردها فى التدوين ، هذا فضلا عن عدم اعتمادها الكلي على المصادر الفارسية خاصة ، والتى توفر لها من المخالطة للمغول مالم يتوفر لغيرها من المصادر ، فساعدها ذلك على تدوين تاريخ المغول باستفاضة أكثر من غيرها من المصادر الأخرى .

في أي وقت من الأوقات أن يمجد السلطان على حساب الأحداث التاريخية[١] يقول بيبرس الدوادار عن إحدى مشاركاته في الحرب ضد التتار في أحداث سنة ٧٠١هـ [٢] : " وعند دخولنا دمشق المحروسة استبشر أهلها وفرحوا واتصل بنا اجتماع عسكر حلب ... " .

وقد شارك أبو الفداء ــ أيضا ــ نفسه في إحدى حروب المسلمين مع التتر يقول عن ذلك في أحداث عام ٧٠٢هـ [٣] : " وجماعة من عسكر حماة وجردوني أيضاً من جملتهم فسرنا من حماه سابع شعبان من هذه السنة ، والتقينا مع التتر ... " .

إلى جانب مورد المعاصرة اجتمع للمصادر العربية أيضاً مورد المشافهة والسماع مع المعاصرة في نفس الوقت مثل ابن الأثير الذي يقول عن مطاردة التتار للسلطان خوارزم شاه [٤] : " هكذا ذكر لي بعض الفقهاء ممن كان ببخاري وأسروه معهم إلى سمرقند [*]، ثم نجا منهم ووصل إلينا ".

وكذلك النسوى الذي يقول في إحدى المواضع [٥] : " حدثني غير واحد ممن يعتبر قولهم أن ملك الصين ملك متسع ... " ، ومثل بيبرس الدوادار الذي يقول عن أبناء هولاكو [٦] : " وهذه أسماء الأولاد أثبتناها من السفار والواردين من تلك الأقطار ، وهم ... " .

ويقول النويري عن مصادره فى ذكر أخبار ظهور أمة المغول وجنكيزخان [٧] : " ونحن نذكر ملخص أخباره وابتداء ظهوره وما كان من أمره إلى أن ملك البلاد ، ونشرح من ذلك ما لخصناه مما طالعناه ونورد ما تلقفناه من أفواه الرجال وسمعناه " . هذا وإلى جانب موردي المعاصرة والمشافهة توفر كذلك للمصادر العربية مورد الكتب التاريخية المدونة عن تاريخ المغول ، وقد اعتمد عليها المصادر العربية الغير معاصرة خاصة . من ذلك قول ابن كثير عن واقعة حمص سنة ٦٨٠هـ والتى هزم فيها

---

(١) الدوادار : التحفة الملوكية . ص١٦ مقدمة التحقيق .

(٢) الدوادار : زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة . تحقيق د/ زبيدة عطا . ط ــ مؤسسة عبن للنشر ــ القاهرة سنة ٢٠٠١م . ص٤٠١ .

(٣) المختصر : جـ٤ ص٤٨ .

(٤) الكامل فى التاريخ . ط ــ دار صادر ــ بيروت ــ الطبعة السادسة سنة ١٩٩٥ م . جـ١٢ ص٣٧٠ .

(*) سمرقند : بلد مشهور في ما وراء النهر وهي قصبة الصغد مبنية على جنوبي وادي الصغد . الحموي : معجم البلدان جـ ٣ ص ٢٤٦ .

(٥) سيرة السلطان جلال الدين : ص٣٨ .

(٦) التحفة الملوكية : ص٥٥ .

(٧) نهاية الأرب : جـ٢٧ ص٣٠٠ .

التتار [١] : " ورأيت فى بعض تاريخ البغاددة أن .." كما اعتمد ابن كثير على المصادر الفارسية مثل كتاب [تاريخ فاتح العالم] للجويني . إذ يقول عن ذلك [٢] : " وقد رأيت مجلداً جمعه الوزير ببغداد علاء الدين الجويني ... " .

كما اعتمد ابن فضل الله العمري على المتون السابقة والمؤلفات والكتب القديمة ، فقد كان يذكر عادة اسم المؤلف واسم الكتاب الذى أخذ عنه ، ومن العجيب أنه كان يثبت أسماء كتب مكتوبة باللغة الفارسية ويتحدث عن مؤلفين ألفوا كتب بالفارسية مثل علاء الدين عطا ملك الجويني ورشيد الدين فضل الله الهمذاني [٣] ، يقول عن ذلك فى إحدى المواضع [٤] : " ها نحن نبدأ بذكر نبذة من ابتداء حال جنكيزخان وترقيه إلى أن ملك... فنقول : حكى الصاحب علاء الدين عطا ملك الجويني ... " .

ومن المصادر العربية المتأخرة عن عصر المغول المقريزي الذى يقول فى إحدى المواضع [٥] : " أخبرني العبد الصالح الداعي إلى الله تعالى أبو هاشم أحمد بن البرهان ــ رحمه الله ــ أنه رأى نسخة من الياسة بخزانه المدرسة المستنصرية ببغداد ومن جملة ما شرعة جنكيزخان فى الياسة ... " .

إذا كانت بعض المصادر العربية قد نقلت ما كتبته عن تاريخ المغول من بعض المصادر الفارسية مثل الجويني والهمذاني ، فإن ما نقلوه عنهم لا يتعدى نظم المغول القديمة ، قبل قدومهم إلى بلاد الإسلام . أما ما يتعلق بوصف نظم المغول العسكرية ــ خاصة الصورة الحقيقة للمقاتل المغولي موضوع البحث ــ فإن ذلك الأمر لم يكن يتطلب الاعتماد على المصادر الفارسية أو غيرها ؛ لأن هذا المقاتل وما يتعلق به ، قد عاصره بعضهم ورأه ورأى سلوكياته رأى العين ، فلم يكن فى حاجة إلى من يعرفه بذلك .

على هذا يمكن القول بأن الاعتماد على المصادر العربية فى رسم صورة المقاتل المغولي الحقيقية ، يرجع إلى أن المصادر الفارسية ــ خاصة ــ كتبت إما بأيدي الشيعة المعادين لأهل السنة ــ أكثر من عانى من التتار ــ أو بأيدي موظفي التتار من العجم ، وكلاهما لم يكن صادقاً تماماً فى رسم الصورة الحقيقة لسلوكيات المغول عموماً . لكن المصادر العربية

---

(١) البداية والنهاية : جـ١٣ ص٢٩٧ .
(٢) المصدر السابق : جـ١٣ ص١١٨ .
(٣) مسالك الأبصار : السفر الثالث ص١١ ــ ١٢ مقدمة التحقيق .
(٤) المصدر السابق : السفر الثالث ص١٠١ ــ ١٠٢ .
(٥) الخطط : جـ٢ ص٢٢٠ .

التـــى كتبت فى الغالب بأقلام أهل السنة ، قد أعطت بالفعل الصورة الحقيقة لهذا المقاتل بما له وما عليه ــ هذا ما سوف نعرفه فى ثنايا البحث ــ لأنها لم تكن تجامل القادة المسلمين الذين واجهوا التتار عسكرياً ، بل كانت كثيراً ما توجه إليهم النقد الشديد ، مثل نقد النسوى لسيده جلال الدين منكبرتى ، ونقد بيبرس الدوادار لسيده السلطان قلاوون .

دور المقاتل المغولي في بناء الإمبراطورية المغولية

انبثق فجر القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ، والشرق الإسلامي يستعد لاستقبال تلك الجيوش الجرارة التي اندفعت نحوه اندفاعاً من شمال آسيا الشرقي ... وكان الغزو المغولي عنيفاً وسريعاً أيضاً ، وكان المغول مدفوعين بحماس المحاربين الواثقين من إحكام تنظيم جيوشهم ، كما كانوا مدفوعين بالرغبة في الانتقام من ولاة الأمر في البلاد الإسلامية وفى الدولة الخوارزمية على وجه الخصوص . [١]

يقول ابن الأثير [٢] : " لقد جرى لهؤلاء التتر ما لم يسمع بمثله من قديم الزمان ، وحديثه ، طائفة تخرج من حدود الصين لا تنقضي عليهم سنة حتى يصل بعضهم إلى بلاد أرمينية من هذه الناحية ، ويجاوزوا العراق من ناحية همذان [*] ، وتالله لاشك أن من يجيء بعدنا ، إذا بعد العهد ، ويرى هذه الحادثة مسطورة ينكرها ، ويستبعدها ، والحق بيده ، فمتى استبعد ذلك فلينظر أننا سطرنا نحن ، وكل من جمع التاريخ في أزماننا هذه في وقت كل من فيه يعلم الحادثة ، استوى في معرفتها العالم والجاهل لشهرتها " .

ولم يقتصر الغزو المغولي على المناطق الإسلامية فقط بل امتد إلى كل الأقاليم الأسيوية ومنطقة شرق أوروبا أيضاً ، فقد وصلت جيوش المغول المغيرة إلى ضواحي فيينا ــ عاصمة النمسا الآن ــ في ديسمبر عام ١٢٤١م ولكن وفاة الخان الأعظم [أوكتاى] في منغوليا ، أنقذت أوروبا من مزيد من الهجمات ... إذ بعد انطلاق المغول من ديارهم في القرن الثالث عشر الميلادي تمكن فرسانهم من إنشاء أضخم إمبراطورية على اليابسه عرفها العالم . [٣] إن الإسكندر ــ الأكبر ــ الذي اتفق المؤرخون على أنه ملك الدنيا لم يملكها في هذه السرعة ، إنما ملكها في نحو عشر سنين . [٤]

ولم يكن انتصار المغول على المسلمين لمجرد الرغبة في الانتصار أو لمجرد تنظيم جيوشهم وإحكام تدريب رجالهم ، ولم يكن من المؤكد أيضاً أن يغنم المغول ما غنموه من كسب مادي في البلاد الإسلامية لمجرد

---

(١) النسوى : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى . ص٣ مقدمة التحقيق .
(٢) الكامل فى التاريخ : جـ١٢ ص٣٧٥ ــ ٣٧٦ .
(*) همذان : تقع فى الإقليم الرابع .. وهي إحدى مدن المشرق الإسلامي . الحموي : معجم البلدان . جـ٥ ص٤١٠ .
(٣) مايك إدواردز : جنكيزخان سيد المغول . مجلة الثقافة العالمية عدد ٨٣ ص ١١١ .
(٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ . جـ١٢ ص٣٦٠ .

الرغبة في الحصول على هذا الكسب ، ولكن من المؤكد أنهم انتصروا على المسلمين وأحرزوا ما أحرزوه من نصر لما كان يقابل حماس المغول ، من ضعف ووهن وتردد بين صفوف المسلمين ، الساسة منهم والمحاربين ، ولما كان يقابل هذه الجيوش المغولية التي أحكم تنظيمها وتجهيزها من ضعف ظاهر بين الجيوش الإسلامية التي كانت خليطاً من قوى لا تجانس بينها . (١)

إذ يذكر التاريخ المغول كفرسان من صنع الشيطان انقضوا كالكارثة (٢) على العالم المتحضر ، وخرجوا من الظلمة إلى قوة لا حدود لها ، وفى الحقيقة كان كل مغولي مجنداً في خدمة دولته ، ومستعداً لحمل السلاح وخوض غمار القتال إذا ما أشار عليه جنكيزخان بذلك . (٣)

وقد صور لنا ابن الأثير مكانة المقاتل المغولي والدور الذي قام به في قيام الإمبراطورية المغولية بقوله (٤) : " ولقد حكى لي عنهم حكايات يكاد سامعها يكذب بها من الخوف الذي ألقى الله سبحانه وتعالى في قلوب الناس منهم ، حتى قيل إن الرجل الواحد منهم كان يدخل القرية أو الدرب وبه جمع كثير من الناس ، فلا يزال يقتلهم واحد بعد واحد ، لا يتجاسر أحد أن يمد يده إلى ذلك الفارس " . فقد خذل الناس عنهم حتى كان الواحد منهم يقتل بيده مائة إنسان والسيوف في أيديهم لا يقدر أحد منهم أن يحرك يده بسيفه نحو ذلك التتري خذلاناً صُبّ على الناس وأمر سماوي اقتضاه . (٥)

ومما يدلل على قوة الدعاية التي كانت تقال حول بسالة المقاتل المغولي في ذلك الحين ، أنه في سنة ٦٤٣هـ قصد التتار بغداد فحملوا على عسكر بغداد حملات متتابعة وظنوا أن واحدة منها تهزمهم ، لأنهم قد اعتادوا أنه لا يقف عسكر من العساكر بين أيديهم وأن الرعب والخوف منهم يكفي ويغني عن مباشرتهم الحرب بأنفسهم . (٦)

إذا لم يكن من حين قدومهم على بلاد المسلمين من سنة ٦١٦هـ إلى هذه السنة ٦٥٨هـ يلقاهم عسكر إلا فلوه ، سوى وقائع كانت بينهم وبين جلال الدين بن خوارزم شاه ، انتصف جلال الدين في بعضها ، ثم

---

(١) النسوى : سيرة السلطان جلال الدين . ص٣ مقدمة التحقيق .
(٢) إدواردز : جنكيزخان سيد المغول . الثقافة العالمية . عدد ٨٣ ص١١٢ .
(٣) د/ فؤاد الصياد : المغول فى التاريخ . ط ـ دار النهضة العربية ـ بيروت ـ سنة ١٩٧٠م . ص٣٦١ .
(٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ . جـ١٢ ص٥٠٠ .
(٥) ابن أبى الحديد : شرح نهج البلاغة . ط ـ دار الأندلس ـ بيروت ـ لم تذكر سنة الطبع . جـ٢ ص٣٦٧ .
(٦) شرح نهج البلاغة : جـ٢ ص٣٧٠ ـ ٣٧١ .

كبسوه على باب آمد (*) وبددوا جمعه . (١)

وعلى الرغم من أن موقعة عين جالوت كانت أول هزيمة عرفت للتتر منذ قاموا (٢) إلا أنه قبل الموقعة كان في قلوب المسلمين وهمُ عظيم من التتر . (٣) وبعد انتصار المسلمين على التتر في عين جالوت تضاعف شكر المسلمين لله تعالى على هذا النصر العظيم فإن القلوب كانت قد يئست من النصرة على التتر لاستيلائهم على معظم بلاد الإسلام ، ولأنهم ما قصدوا إقليماً إلا فتحوه ولا عسكراً إلا هزموه . (٤)

لقد كان للمقاتل المغولي الدور الأكبر في بناء الإمبراطورية المغولية ، حقيقة أن المقاتل عموماً ــ في أي عصر ومصر ــ له دور كبير في تأسيس الدول والممالك ، وحقيقة أن هناك عوامل أخرى ساعدت المغول على تكوين إمبراطوريتهم ؛ إلا أن المقاتل المغولي قد توفرت له العديد من العوامل والمؤثرات التي ساعدت على تكوين شخصيته وجعلت منه مقاتلاً ذو نمط خاص مختلف عن كل مقاتلي عصره .

(*) آمد : أعظم مدن ديار بكر وأجلها وأشهرها ذكرا .. وهو بلد قديم حصين قديم ركين مبني بالحجارة السود . الحموي : معجم البلدان . جـ١ ص٥٦ .

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة . جـ٧ ص٦٩ .

(٢) المقريزي : الخطط . جـ٢ ص٢٣٨ .

(٣) المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك . صححه د/ محمد مصطفى زيادة . ط ــ لجنة التأليف والترجمة ــ القاهرة ــ الطبعة الثانية سنة ١٩٥٧م . جـ١ قسم٢ ص٤٣٠ .

(٤) أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر . جـ٣ ص٢٠٥ .

العوامل المؤثرة في بناء شخصية المقاتل المغولي

كـــان للمغول رسوم وتقاليد وآداب تتفق وحياتهم الفطرية البسيطة الخالـــية من التكلف والتعقيد ... هذه التقاليد تبدو على وجه الخصوص في مأكـــل المغولـــي وملبسه ومسكنه ودينه وقوانين مجتمعه البسيطة . وكلها مـــسائل تـــدور حـــول تكوين أسرته ، وتنظيم جماعته وحمايتها من غضب الطبيعة التي يرهبها ويخشاها ، وإعداد نفسه ليكون جندياً ناجحاً في الغزو والفتح ، عندما يشير عليه الخان الأعظم بذلك . [1]

يقـــول الذهبي عن خوارزم شاه [2] : " خرجوا عليه ، وهم بنو أبٍ وأولـــو كلمة مجتمعة وقلبٍ واحد ، ورئيس مطاع ، فلم يمكن أن يقف مثل خوارزم شاه بين أيديهم " .

فقد توفرت عدة عوامل أثرت في تكوين شخصية المقاتل المغولي ، مرتبطة بظروف البيئة الأولى التي خرج منها ، وكان لهذه المؤثرات الدور الأكبر في طريقة ممارسة هذا المقاتل للحرب والغزو بعد ذلك ، بعد أن خرج بهم جنكيزخان من بادية الصين لغزو العديد من أجزاء المعمورة .

هـــذا ويمكـــن اســـتخلاص هـــذه العوامل المؤثرة من خلال رسم المصادر العربية لصورة المقاتل المغولي على النحو الآتي ذكـــره .

---

(١) د/ فؤاد الصياد : المغول فى التاريخ . ص٣٢٩ .

(٢) العبر فى خبر من غبر : تحقيق / أبو هاجر زغلول . ط ـــ دار الكتب العلمية ـــ بيروت ـــ لبنان ـــ لم تذكر سنة الطبع . جـــ٣ ص١٧٣ .

الموطـــن الأصلـــي

كان للموطن الأصلي الذي عاش فيه المغول الأثر الكبير في تكوين شخـصية مقاتلـيهم ، وإكـسابهم بعض الخصال التي زادت من خشونتهم ووحـشيتهم في ممارسة القتال . يقول ابن الوردي [١] : " قبيلة جنكيزخان اللعـين هي المعروفة بقبيلة التمرجى سكان البراري " . فقد كانوا يسكنون فـي آخـر الـشرق في البراري والقفار وهم أهل خيام [*] وعمد [٢] ، فهم أعـراب تلـك النواحي [٣] ، وهم أرباب مواشي ينتقلون من مرج إلى مرج ويتبعون المراعي . [٤]

ولـم يكن المغول أهل بادية فقط ، بل كانت الظروف المناخية [**] في هذا الموطن لا تقل قساوة عن ظروفهم المعيشية ، فقد كانوا يشتون في الأودية ويصيفون في رؤوس الجبال [٥] . وقد أكدت على الظروف المناخية القاسية هذه ، المصادر الفارسية أيضاً ، من ذلك قول الجويني [٦] : " ليس فيها ــ أي بلادهم ــ شئ غير البرد القارس " .

وإذا كانـت الظـروف المناخـية لها أثرها في إعاقة المغولي عن ممارسة حياته الطبيعية في موطنه الأصلي ، فقد عودته هذه الظروف على عـدم القيام بأي شئ بعد ذلك ، ولو كان هذا الشيء عملاً عسكرياً وذلك إذا مـا تعـرض لمثل هذه الظروف المناخية القاسية في غير موطنه الأصلي ، من ذلك أن الشتاء هجم على التتر في همذان ... فرأوا برداً شديداً ، وثلجاً متـراكماً ، فساروا إلى أذربيجان وساروا يريدون ساحل البحر ؛ لأنه يكون قلـيل البـرد ، ليـشتوا علـيه [٧] . ولم يكن الشتاء فقط يؤثر في المقاتل

---

(١) تاريخ ابن الوردى:ط ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ الطبعة الأولى سنة ١٩٩٦م . جـ٢ص١٣٥.

(*) كان المغول يصنعون أغطية خيامهم التى تشبه خلية النحل من الصوف لتحميهم إذا ما هبت الريح الثلجية . د/ الصياد : المغول فى التاريخ . ص٣٣١ .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب . جـ٤ ص٣٦ .

(٣) الذهبـي : سـير أعلام النبلاء . ط ــ دار الفكر ــ بيروت ــ الطبعة الأولى ١٩٩٧م جـ١٧ ص٥٩ .

(٤) المكـين بن العميد : أخبار الأيوبيين . تحقيق / كلود كاهن . ط ــ مكتبة الثقافة الدينية ــ القاهرة ــ لم تذكر سنة الطبع . ص٧ .

(**) كان المغول يطلون أبدانهم بالشحم اتقاء البرد والرطوبة ، ومع هذا فليس من النادر أن نراهم يجمدون بفعل البرد القارس . د/ الصياد : المغول فى التاريخ ص٣٣٢ .

(٥) ابن العميد : أخبار الأيوبيين . ص٧ .

(٦) تاريخ فاتح العالم : جـ١ ص٦٠ .

(٧) ابن الأثير : الكامل . جـ١٢ ص٣٧٤ .

المغولي بل الصيف أيضاً ، فقد حاصر التتار مدينة [أربل] (*)ستة أشهر ، حتى هجم عليهم الحر وأصابهم من الوخم الضر ، فرجعوا عنها . (١)

لقد كان لطبيعة المسكن والظروف المناخية التي عاش فيها المغولي في موطنه الأصلي أثر كبير في تكوين شخصيته ، خاصة وأنهم كانوا أهل بداوة وقد أكد ذلك عموماً المؤرخ الكبير ابن خلدون في مقدمته بقوله (٢) : " إن أهل البدو أقرب إلى الشجاعة من أهل الحضر ... وذلك لتوحشهم في الضواحي وبعدهم عن الحامية ... قائمون بالمدافعة عن أنفسهم ... فهم دائماً يحملون السلاح ويتلفتون في كل جانب في الطرق ... قد صار لهم البأس خُلقاً والشجاعة سجية يرجعون إليها متى دعاهم داع أو استنفرهم صارخ " .

ويقول في موضع آخر ــ مؤكداً على صفات أهل البادية عموماً ، ومنهم الأمة المغولية (٣) : " لما كانت البداوة سبباً في الشجاعة ، فلا جرم كان هذا الجيل الوحشي أشد شجاعة من الجيل الآخر ، فهم أقدر على التغلب وانتزاع ما في أيدي سواهم من الأمم ... وإذا كانت الأمة وحشية كان ملكها أوسع ، وذلك لأنهم أقدر على التغلب والاستبداد ... ولأنهم ينزلون من الأهلين منزلة المفترس من الحيوانات العجم " . وكانت البداوة متغلبة على كل الأمة المغولية وفى مقدمتها جنكيزخان ذاته الذي يقول عنه ابن خلدون (٤) : " أما ولده فكثير وهو الذي يقتضيه حال بداوته وعصبيته".

(*) أربل : قلعة حصينة ومدينة كبيرة ، تعد من أعمال الموصل . الحموي : معجم البلدان . جـ١ ص١٣٧ .

(١) العيني : عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان . تحقيق د/ محمد أمين . ط ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب. سنة ١٩٨٨م.حوادث سنة ٦٥٦هـ . ص١٨٠ .

(٢) ابن خلدون : المقدمة . ط ــ دار الفكر ــ بيروت ــ لبنان ــ الطبعة الأولى سنة ١٩٩٨م . ص١٢٩ .

(٣) المصدر السابق : ص١٤٠ ــ ١٤٧ .

(٤) العبر وديوان المبتدأ والخبر : جـ٥ ص٥٢٧ .

طبيعة المأكل والمشرب

كان لطبيعة مأكل ومشرب المغولي ولطريقته في تناول ذلك أثر كبير في تكوين شخصيته ، لا يقل أثراً عن الظروف المناخية والحياة البدوية التي عاشها في موطنه الأصلي .

يقول عنهم ابن أبى الحديد [١] : " هم أصبر خلق الله على الجوع[*] والعطش والشقاء " . وهم لا يحرمون شيئاً [٢] ، وأكلهم أي لحم وجد [٣] . فهم يأكلون جميع الدواب ، حتى الكلاب والخنازير وغيرها [٤] ، بل إنهم يأكلون الميتة . [٥]

وكان اعتمادهم ــ الأول ــ على الأغنام والخيل [**] يأكلون لحومها ويشربون من ألبانها [٦] . وكان لهذا أثر في قوة بنيانهم الجسماني يقول ابن خلدون مؤكداً ذلك [٧] : " كذا المتغذون بألبان الإبل ولحومها أيضاً ، مع ما يؤثر في أخلاقهم من الصبر والاحتمال والقدرة على حمل الأثقال ... تنشأ أمعاؤهم على نسبة أمعاء الإبل في الصحة والغلظ ، فلا يطرقها الوهن ولا الضعف " .

وقد استمروا على هذا الحال في المأكل والمشرب حتى بعد خروجهم لغزو المعمورة يقول ابن أبى الحديد [٨] : " عندما حاصر التتار

---

(١) شرح نهج البلاغة : جـ٢ ص٣٦٤ .

(*) يستطيع المغول الصبر على الجوع ، فلا يأكلون طعاما مطهيا لثلاثة أيام أو أربعة ولاشك أن هذه القدرة العجيبة قد أفادتهم فى الحروب ؛ لأن الجندي فى معارك القتال يكون مهتما بالنزال والطعان ، أكثر من اهتمامه بالطعام وملء البطون . د/ الصياد : المغول فى التاريخ . ص٣٣٠ .

(٢) ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب . ط ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان ــ لم تذكر سنة الطبع . جـ٥ ص٦٥ .

(٣) السيوطي : تاريخ الخلفاء . ص٤٦٧ .

(٤) ابن الأثير : الكامل . جـ١٢ ص٣٦٠ .

(٥) شرح نهج البلاغة . جـ٢ ص٣٦٤ .

(**) كان الخبز بالنسبة للمغول بدعة عندما دخلوا هراة فى أفغانستان ووجدوه ... وكان المغول الرعاة يحتقرون كل من يعمل فى الحقول ، وكان طعامهم يقتصر فقط على منتجات اللحوم والألبان وهو الوضع الذى مازال قائما حتى الآن . إدواردز : أبناء جنكيزخان . مجلة الثقافة العالمية . عدد ٨٣ ص١١٢ .

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب . جـ٤ ص٣٦ .

(٧) المقدمة : ص٩٩ .

(٨) شرح نهج البلاغة : جـ٢ ص٣٦٧ .

همذان عدمت الأقوات وأضر ذلك بأهل همذان ولم ينل التتار مضرة من عدم القوت ؛ لأنهم لا يأكلون إلا اللحم ، والخيل معهم كثيرة ومعهم غنم عظيمة يسوقونها حيث شاءوا " .ولم تكن طبيعة المأكل ونوعيته مثل الخنازير والكلاب والميتة هي الشيء الوحيد الذي اكسب المغولي نوعاً من أنواع الغلظة في الطبع ، بل طريقتهم في ذبح الحيوانات لأكل لحومها لم تكن أقل قسوة من ذلك ، فمن معتقدهم في ذبح الحيوان أن تلف قوائمه ، ويشق جوفه ويدخل أحدهم يده إلى قلبه فيمرسه بيده حتى يموت أو يخرج قلبه . [1]

مما لاشك فيه أن طبيعة مأكل ومشرب المقاتل المغولي قد أثرت في شخصيته وأعطتها طابعاً كبيراً من الوحشية والبشاعة ، كما أثرت أخبار مأكله ومشربه – خاصة للدماء – في نفسية ومعنويات أعداءه ، بأن ألقت فيها الخوف والفزع من هذا المقاتل المتوحش .

طبيعة الملبس

لم يؤثر المأكل والمشرب فقط في تكوين شخصية المقاتل المغولي، بل اجتمع معهما كذلك الملبس [*] ، والذي لم يزد في وحشيته فقط ، بل وزاد في كآبته في نفس الوقت . فقد كانت ثيابهم من أخشن الثياب ، ومنهم من يلبس جلود الكلاب والدواب الميتة . [2] ويقال إنهم كانوا لا يرون غسل ثيابهم البته [3] ، بل يلبسونها حتى تبلى . [4] ولا يميزون بين طاهر ونجس [5] ، يقول ابن كثير عن [كتبغا] [**] عندما حاصر قلعة بعلبك [6] : " دخل دكاناً خراباً فقضى حاجته والناس ينظرون إليه وهو مكشوف العورة ، فلما فرغ من حاجته مسحه بعض أصحابه بقطن ملبد مسحة واحدة " ، ولا عجب في ذلك فقد كانوا جميعاً – قادة وجنوداً – أشبه

---

(١) القلقشندي : صبح الأعشى . جـ٤ ص٣١١ .

(*) كانت ملابسهم بسيطة وساذجة ، تتفق والبيئة التي يعيشون فيها ، وكانت في الغالب مصنوعة من أصواف الغنم ووبر الإبل وأحياناً كانوا يصنعونها من جلود الحيوانات. د/ الصياد:المغول في التاريخ . ص٣٣٢ .

(٢) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة . جـ٢ ص٣٦٤ .

(٣) القلقشندي : صبح الأعشى . جـ٤ ص٣١٢ .

(٤) المقريزي : الخطط . جـ٢ ص٢٢١ .

(٥) صبح الأعشى : جـ٤ ص٣١٢ .

(**) هو كتبغانوين المغلى مقدم التتار ونائب الشام لهولاكو ، كان عظيماً عند التتار معتمداً عليه لشجاعته ورأيه ودهائه وحزامته وخبرته بالحروب . الذهبي : العبر جـ٣ ص٢٩١ .

(٦) البداية والنهاية : جـ١٣ ص٢٢٧ .

شئ بالوحش والسباع . [1]

وقد استمروا على هذه الهيئة من الملابس الرثة القذرة حتى بعد أن غزوا بلدان العالم واختلطوا بحضارتها ، ففي سنة ٧٠١هـ قدم بعض الرسل من التتار على مصر ، فخرج عليهم السلطان الناصر محمد بن قلاوون [*] بالخلع السنية وتلك الهيئة الجميلة الحسنة ، فأذهل عقول الرسل مما رأوا من حسن زي عسكر الديار المصرية بخلاف زي التتار . [2]

---

(١) ابن أبي الحديد : نهج البلاغة . جـ٢ ص٣٦٤ .

(*) هو السلطان الملك الناصر محمد بن السلطان المنصور سيف الدين قلاوون الصالحي تسلطن على الديار المصرية سنة ٦٩٣هـ . ابن تغرى بردى . النجوم الزاهرة . جـ٨ ص٣٥ .

(٢) المصدر السابق : جـ٨ ص١١٤ .

طبيعة الدواب

من الأمور التي ساعدت المغول على القيام بأعمالهم العسكرية في البلدان التي غزوها ، طبيعة الدواب المغولية ، والتي اعتادت على أشياء معينة كانت غير مألوفة ، حتى بالنسبة لغيرها من دواب عصرها ، فكان هذا الأمر من مكملات شخصية المقاتل المغولي .

يقول ابن الأثير في تصوير ذلك [١] : " ثم إنهم لا يحتاجون إلى ميرة ومدد يأتيهم ، لأن معهم الأغنام ، والبقر والخيل ، وغير ذلك من الدواب ، يأكلون لحومها لا غير ، وأما دوابهم التي يركبوها فإنها تحفر الأرض بحوافرها وتأكل عروق النبات لا تعرف الشعير ، فهم إذا نزلوا منزلا لا يحتاجون إلى شئ من خارج " . فلا مأكل لدوابهم سوى الحشيش " . [٢]

كان سبب هزيمة التتار من المسلمين سنة ٦٨٠هـ أنهم أطعموا خيولهم القمح في مدة هذه الأيام ، فلما ساقوها للحرب تبعجت جميعها ، وبقى المخذولون رجّاله فأخذتهم الأيدي [٣] . وهذا يدل على أن دوابهم قد اعتادت بالفعل على حشائش الأرض ، وبرغم هزيمتهم في هذه الموقعة السالفة الذكر ، إلا أن اعتماد دوابهم على الحشائش في مأكلها قد اكسبهم ذلك ميزة عن غيرهم ، في أنهم كانوا في غناء عن حمل الأعلاف لهذه الدواب أثناء مسيرهم للقتال ، فساعد ذلك على خفة حركة الجيش المغولي عموما ، وعلى سرعة انقضاضه على أعداءه .

الياسة جنكيزخان

لم تكن الظروف المادية ـ السالفة الذكر ـ هي التي أثرت في تكوين شخصية المقاتل المغولي فقط ، بل كان هناك مؤثر عقلي أو فكري أثر بدوره في بناء شخصية المقاتل المغولي ، هذا المؤثر تمثل في الياسة جنكيزخان . فجنكيزخان هو الذي جيش الجيوش وخرج بهم من بادية الصين ، فدانت له المغول ، وعقدوا له عليهم ، وأطاعوه ولا طاعة الأبرار للملك القهار [٤] واعتقدوا فيه الإلهية وبالغوا في طاعته [٥] بل وأطاعوه طاعة أصحاب نبي لنبيهم .[٦]

---

(١) الكامل في التاريخ : جـ١٢ ص٣٦٠ .
(٢) ابن واصل : مفرج الكروب . جـ٤ ص٣٦ .
(٣) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات . تحقيق د/ قسطنطين زريق . ط ـ كلية الآداب ـ جامعة البصرة سنة ١٩٧٠ . جـ٧ ص٢١٨ .
(٤) الذهبي : العبر . جـ٣ ص١٩٣ .
(٥) السيوطي : تاريخ الخلفاء . ص٤٦٨ .
(٦) الكتبي : فوات الوفيات . تحقيق الشيخ / علي معوض وصحبه . ط ـ دار

فقد كان لهم قوة وصبراً وطاعة لسلطانهم ، لا لأجل مشاهرة ، ولا توقع مال وجاه ، بل لمجرد الطاعة وحسب [1] وقد كتب لهم جنكيزخان كتاباً في السياسة سماه [الياسا [*]] الكبيرة ذكر فيه أحكام السياسة في الملك والحرب والأحكام العامة [2] وقرر لهم أن كل من لم يمض حكم اليسق — الياسا — ولم يعمل به قتل [3] وأمرهم في الياسا أن يبذلوا السيف في أهل البلاد التي يملكوها [*] ويقتلوا كل من فيها وينهبوا الأموال لتعظم هيبتهم ويشتد خوف الناس منهم . [4]

ومن أهم التعاليم العسكرية التي ذكرها جنكيزخان في الياسا — والتي أثرت في تكوين شخصية المقاتل المغولي ، والتزم بها حرفياً في عملياته العسكرية بعد ذلك — أن جعل على العساكر إذا قدمت من القتال كلفة يقومون بها للسلطان ويؤدونها إليه ... ونص على أن من تغير عن موضعه الذي رسم له بغير إذن قتل [5] ومن أطعم أسيراً أو سقاه أو كساه بغير إذن أهله قتل ... ومن تجسس قتل . [6]

وعلى الرغم من انقسام إمبراطورية المغول بعد توسعها ، وبرغم وفاة جنكيزخان واختلاف أبناءه وأحفاده من بعده ، إلا أنهم جميعاً لم يخالفوا تعاليم الياسا هذه ، يقول ابن فضل الله العمري عن ذلك [7] : " إن أحوال بنى جنكيزخان متقاربة في ممالكهم ، لمشيهم على ياسة جنكيزخان ، ولا يكاد تمتاز أهل مملكة من ممالكهم عن الآخرين إلا فيما قل " .

كما التزم بأحكام الياسا قادة المغول العسكريين على الرغم من اعتناقهم لأديان أخرى تخالف عقيدة المغول الأول ، يقول العيني عن

=الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٠م. جـ١ ص ٢٩٨ .

(١) العمرى : مسالك الأبصار . السفر الثالث ص١٠٨ .

(*) تتلخص أحكام الياسا فى أمور ثلاثة هي : الخضوع لجنكيزخان ، والاتحاد فى قبيلة واحدة ، والعقاب الصارم لكل مخطئ . د/ الصياد : المغول فى التاريخ . ص٣٤٠ .

(٢) ابن خلدون : العبر . جـ٥ ص٥٢٧ .

(٣) الكتبى : فوات الوفيات . جـ١ ص٢٩٩ .

(*) لقد توقعت قوات جنكيزخان أن يدر الفتح عليها الذهب والجواهر ... ويرى مؤرخون آخرون أن دافع جنكيزخان كان فى بعض الأحيان هو الحاجة إلى توفير الغذاء والخيول لشعبه ، وفى أحيان أخرى كان هو الثأر . إدواردز : جنكيزخان سيد المغول . مجلة الثقافة العالمية . عدد ٨٣ ص٨٢ .

(٤) ابن العميد : أخبار الأيوبيين . ص٧ .

(٥) المقريزي : الخطط . جـ٢ ص٢٢١ .

(٦) ابن كثير : البداية والنهاية . جـ١٣ ص١١٨ ـ ١١٩ .

(٧) مسالك الأبصار : السفر الثالث ص١٥٤ .

كتبغانوين نائب هولاكو على بلاد الشام [١] : " كان لعنة الله شيخا كبيرا قد أسن ، وكان يميل إلى دين النصارى ، ولكن لا يمكنه الخروج عن حكم جنكيزخان من الياساق " .

إذا كانت الياسا قد فضت النزاع والخصام بين المغول الذين كانوا يعيشون من قبل كقطعان الذئاب التي لا ضابط لها ولا رابط ، فإنها من جهة أخرى قد حولتها إلى جيوش منتظمة ، تعرف كيف ترسم خططها بدقة وإحكام ، وتغير على الأمم المتحضرة كأنها الإعصار المدمر . [٢]

من خلال ما سبق يتضح أن كل هذه المؤثرات ، قد ساعدت على تكوين شخصية المقاتل المغولي ، قبل انطلاقه لغزو بلدان العالم ، فأكسبته صفات لم تعهد من قبل في أي مقاتل من مقاتلي الأمم في التاريخ ، كان من أبرزها الوحشية بكل معانيها .

ولا عجب في ذلك فقد كانوا قبل غزوهم لبلدان العالم مشهورين بالشر والغدر [٣] ، وقد أكد هذا المصادر الفارسية الموالية لهم ، مثل الجويني الذي يقول عن ذلك [٤] : " كانوا أمة تعيش على السرقة والعنف والفسق والفجور " ، كما جعلتهم هذه المؤثرات شديدي الغضب ، يقول الذهبي عن ذلك [٥] : " تحرش بالتتار ــ يقصد بذلك خوارزم شاه ــ وهم يغضبون على من يرضيهم ، فكيف بمن يغضبهم ويؤذيهم " ، فقبل انطلاقهم للغزو لم يكونوا يعرفون إسلاماً ولا ملة ، ولا بهم رحمة ، بل لذتهم في سفك الدماء ، وإفناء بني آدم وتخريب المعمورة [٦] ، وقد قاموا بفعل كل ذلك في الغالبية العظمى من البلدان التي اجتاحوها .

---

(١) عقد الجمان : حوادث عام ٦٥٨هـ . ص٢٨١ .
(٢) د/ الصياد : المغول فى التاريخ . ص٣٣٩ .
(٣) ابن الوردى : تاريخ ابن الوردى . جـ٢ ص١٣٥ .
(٤) تاريخ فاتح العالم : جـ١ ص٦٠ .
(٥) العبر فى خبر من غبر : جـ٣ ص١٧٣ .
(٦) الذهبي : سير أعلام النبلاء . جـ١٧ ص٥٩ .

الشكل العام للمقاتل المغولي

مع أن تسجيل أحداث الدمار الذي خلفه الهجوم المغولي على بلدان العالم الإسلامي ، قد سيطر على أغلب المدونات التاريخية العربية ، إلا أن هذه المصادر لم يفت عليها أن ترسم لنا صورة تقريبية للشكل العام للمقاتل المغولي (*) ، الذي أحدث كل هذا الدمار ، سواء كان هذا المقاتل المغولي جندياً عادياً أو قائداً عظيماً .

يقول الذهبي عن شكله العام (١) : " هم عراض الوجوه ، واسعوا الصدور ، خفاق الأعجاز ، صغار الأطراف ، سمر ... " ، ويقول في موضع آخر (٢) : " هم موصوفون بالشجاعة والإقدام على المهالك وقوة الأبدان " وزاد السيوطي على ذلك بقوله (٣) : " هم سريعو الحركة في الجسم والرأي" ، ولم يكن المغول جميعاً سمر الأبدان ، بل كانت منهم طائفة سوداء اللون ، يقول ابن أبى الحديد (٤) : " وفى التتر صنف سود يشبهون الزنج ".

كانت لهم ملابسهم وزيهم الخاص بهم . على الرغم من أنها كانت بالية وقذرة ــ كما ذكر آنفاً ــ عرف بعضها باسم [طرقوا] وكانت مأخوذة من وبر الإبل الأبيض (٥) . وذكر ابن خلدون أنها كانت تسمى الثياب الخطائية (٦) . وكانت هذه الملابس خاصة بهم دون سواهم يؤكد ذلك السيوطي بقوله (٧) : تصل إليهم أخبار الأمم ، ولا تصل أخبارهم إلى

(*) كان الفارس المغولي بلباسه الحربي له درع من الجلد الخفيف ، وكان يستعمل لحمايته وجهه درعا جلديا صغيراً محملاً في ذراعه الأيسر ، وتحت عباءته الفضفاضة يرتدي زيا صوفيا محاكا بإحكام ، يحميه من الأذى الناتج عن أسهم الأعداء . إدواردز : جنكيزخان سيد المغول . الثقافة العالمية . عدد ٨٣ ص ١١٠ .

(١) سير أعلام النبلاء : جـ١٦ ص٢٠٣ .
(٢) المصدر السابق : جـ١٧ ص٥٩ .
(٣) تاريخ الخلفاء : ص٤٦٧ .
(٤) شرح نهج البلاغة . جـ٢ ص٣٦٦ .
(٥) النسوي : سيرة السلطان جلال الدين . ص٨٣ بتصرف بسيط .
(٦) العبر : جـ٥ ص١١١ بتصرف بسيط .
(٧) تاريخ الخلفاء : ص٤٦٧ .

الأمـــم وقلما يقدر جاسوس أن يتمكن منهم ، لأن الغريب لا يتشبه بهم " . وقـد حـدث هـذا بالفعل ففي سنة ٦١٠هـ أراد السلطان خوارزم شاه أن يكشف التتار ، فتنكر ولبس زيهم هو وثلاثة ، ودخل فيهم فأنكرتهم التتار ، وقبـضوا عليهم ، وقرروهم فمات اثنان تحت الضرب ، ولم يقرا ، ورسموا علـى خوارزم شاه ورفيقه فهربا في الليل . [١] يقول القلقشندي عن ملبس جـنود مملكـة القبيلة الذهبية [*] التترية [٢] : " كان زيهم زي عسكر مصر والـشام فـي الدولة الإسلامية ، وما يناسب ذلك ، ثم غلب على زيهم زي التتـر ، إلا أنهـم بعمـائم صـغار مدورة " . وفى فترة الصراع الإسلامي المغولي على بلاد الشام قامت محاولات عدة لتقليد زي التتار الخاص بهم ، كـان مـن هذه المحاولات ، ما قام به ملك الأرض في سنة ٦٢هـ عندما اهـتم بالمـسير إلى بلاد الشام ، وأعد ألف قباء [*] تتري ، وألف سراقوج [**] ألبسها الأرمن ليوهم أنهم نجدة من التتر . [٣]

ومـن الأمـور التـي تـؤكد على أن المقاتل المغولي كان له زيه الخـاص به ، أن أهالي بعض البلدان المحتلة من قبل المغول كانوا يرتدون ملابـسهم كـي يـتقون شرهم ، من ذلك أن غازان بن أرغون حاصر قلعة دمشق سنة ٦٩٩هـ فكانت الطرقات في دمشق لا يرى بها أحد إلا القليل ، ومن خرج من منزله في ضرورة يخرج بثياب زيهم ثم يعود سريعاً .

---

(١) الذهبي : العبر فى خبر من غبر . جـ٣ ص١٥١ ــ ١٥٢ .

(*) لما مات هولاكو طلب بركة خان ــ ملك القبيلة الذهبية ــ من ابنه أبغا أن يأذن له فى بناء جامع تبريز ودار لنسج الثياب والطراز فأذن له فبناهما . ابن خلدون : العبر . جـ٥ ص٥٣٧ .

(٢) صبح الأعشى : جـ٤ ص٤٧٧ .

(*) كان البقاء يصنع من الصوف والحرير أو القطن البعلبكي ، وكان لونه إما ابيض أو مـزين بأشـرطة باللونـين الأحمر والأزرق ... وله أكمام ضيقة . ماير : الملابـس المملوكـية ترجمة / صالح الشيتي ــ ط ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ــ لم تذكر سنة الطبع ص٤٠ ــ ٤١ .

(**) الـسراقوج Saraquj لباس خاص بالعسكريين يوضع على الرأس ، وقد لبسه بركة خان نفسه وكان يمثل إلى حد كبير الزي التتري المميز . وهو عبارة عن قلنـسوة لها شكل مخروطي طويل بحافة مقلوبة إلى أعلى . المرجع السابق : ص٥٦ .

(٣) المقريزي : السلوك . جـ١ قسم٢ ص٥١١ .

وقد رسم لنا اليونيني صورة أحد قادتهم العامة فقال عن [كتبغانوين] [1] : " وقد رأيته ببعلبك حين حاصر قلعتها ، وكان شيخاً حسناً له لحية طويلة مسترسلة قد ضفرها مثل الدبوقة [***]، وتارة يعلقها من خلفه بإذنه ، وكان مهيباً شديد السطوة ... " .

تعداد المقاتلين في الجيش المغولي

اهتمت المصادر العربية في ضمن ما اهتمت به في تاريخ المغول، بتعداد المقاتلين في الجيش المغولي ، لأنهم يمثلون البنيان الأساسي في تكوين هذا الجيش . يقول ابن فضل الله العمرى [2] : " أما ترتيب العساكر والقانون المقرر في ذلك ، فأعلم أنه لم ينقل في تاريخ قديم ولا حديث أن عسكراً اجتمع لسلطان كثرة كما اجتمع لهم كثرة عدد وعدد " ، وعدة جيشهم المنزلة في دواوينهم لا تبلغ عشرين تومانا [*] . أما إذا أرادوا الحرب فإنهم يركبون بثلاثين تومانا وما يزيد عليها ، وعامة العسكر لا تزال أسماؤهم في دواوينهم على الإفراد ، وكل طائفة منهم عليهم في الديوان فارس معين ، إذا رسم لهم بالركوب ركب بالعدة المطلوبة.[3]

كانت المصادر العربية لا تذكر في بعض الأحيان ، تعداد المقاتلين المغول في جيوشهم المغيرة ، بل تذكرها وصفاً بلاغياً فقط ، يقول الذهبي في حوادث سنة ٦٨٠هـ [4] : " أقبلت التتار كالسيل وعدوا الفرات " لكنها في الغالب كانت تحدد عدد المقاتلين في الجيوش المغولية المغيرة ، فعندما غزا التتار بغداد قدم هولاكو بجنوده كلها ، وكانوا نحو مائتي ألف مقاتل [5] ، لكن بعد غزو بغداد لم تذكر المصادر العربية أن جيشاً من

---

(1) ابن كثير : البداية والنهاية . جـ١٤ ص٩ .

(***) كان المماليك يربون شعرهم ويجعلونه ذوائب خلفهم ويشدونه فى أكياس . ويطلقون على كلا منها دابوقة .البقلي:التعريف بمصطلحات صبح الأعشى . ط ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٨٤ص١١٣ .

(2) مسالك الأبصار : السفر الثالث ص١٠٨ .

(*) التومان : عشرة ألاف رجل . د/ الصياد : المغول فى التاريخ . ص٣٦١ .

(3) القلقشندي : صبح الأعشى . جـ٤ ص٤٢٤ .

(4) دول الإسلام : تحقيق / فهيم شلتوت وصحبه ـ ط ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٤م . جـ٢ ص١٨٢ .

(5) ابن كثير : البداية والنهاية . جـ١٣ ص٢٠٠ .

جيوش المغول قد زاد على مائة ألف مقاتل . ففي سنة ٦٨٠هـ التقى التتار والمسلمين ، وكان ملك التتار في مائة ألف والمسلمون في خمسين ألف أو دونها [١] ، لكن المصادر العربية المعاصرة لأحداث سنة ٦٨٠هـ أكدت على أن جيش التتار في هذه الملحمة لم يزد على ثمانين ألف مقاتل . [٢]

أحياناً كان عدد المقاتلين في جيش المغول لا يزيد على عشرين ألف مقاتل ، من ذلك أن التتر لما ملكوا سمرقند أرسل جنكيزخان عشرين ألف فارس في أثر خوارزم شاه [٣] ، وربما يكون السبب في قلة عدد المقاتلين في هذا الجيش ـ على غير عادة الجيوش المغولية الجرارة ـ يرجع إلى أن مطاردة خوارزم شاه ، لا تستحق غير هؤلاء المقاتلين لقلة الخطورة في مطاردته آخر أيامه .

وكان عدد المقاتلين في الجيش المغولي لا يزيد أحياناً عن عشرة آلاف مقاتل ، فقد رحل هولاكو من حلب عائداً إلى البلاد الشرقية ، ورتب في الشام أميراً كبيراً هو [كتبغا] ومعه عشرة آلاف فارس من العسكر [٤] ، وربما يرجع السبب في قلة هذا الجيش أيضاً ، أن هولاكو كان محتاجاً لأكبر عدد من مقاتليه لينافس بهم على كرسى [الخان الأعظم] ، أو لأنه قضى على الخلافة العباسية ـ قبلة المسلمين آنذاك ـ فاعتقد أن ما بقي من قوات إسلامية لا يستحق سوى هذا العدد القليل من المقاتلين .

غير أن المغول كانوا يكملون العجز في عدد مقاتلي الجيش عن طريق [المدد] وذلك إذا ما طلب القادة في ميدان القتال ذلك ، ففي عهد جنكيزخان علم التتار أنهم لا يستطيعون حصار نيسابور [*] إلا بمدد يأتيهم

---

(١) اليافعي : مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان . ط ـ دار الكتاب الإسلامي ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية سنة ١٩٩٣م . جـ٤ ص١١٩ .

(٢) انظر . بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة . ص٢٠٣ ، أبو الفداء : المختصر . جـ٤ ص١٥ .

(٣) ابن الوردى : تاريخ ابن الوردى . جـ٢ ص١٣٨ .

(٤) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول . وضع حواشيه / خليل منصور . ط ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٩٧م . ص٢٤.

(*) نيسابور : مدينة عظيمة ذات فضائل حسنة ... والمسافة منها إلى الري مائة

فتأخروا عنها وكاتبوا جنكيزخان مستمدين مستنجدين ، فأمدهم ... [1] ولما حاصر التتر [خوارزم [**]] كان القتلى من التتر أكثر من المسلمين لأن المسلمين كان يحميهم السور ، فأرسل التتر إلى ملكهم جنكيزخان يطلبون المدد ، فأمدهم بخلق كثير . [2]

ولما هزم التتار في عين جالوت وفر منهم من فر ، صادف أن طائفة من التتار جاءت من عند هولاكو مدداً لـ [كتبغا] فلما وصلت هذه النجدة إلى بلد حمص صادفت التتار منهزمين ... فكانوا هم أيضاً للسيوف غنيمة وكان عددهم ألفين . [3] هذا إلى جانب غيرها من الشواهد التي تؤكد على اعتمادهم على نظام [المدد] لسد العجز في تعداد مقاتلي الجيش الناتج عن المهام العسكرية الصعبة ، أو زيادة عدد القتلى عقب الهزائم .

الهيكل العام للجيش المغولي

على الرغم من العيشة البدوية الهمجية التي كان يحياها المقاتل المغولي في موطنه الأصلي ، إلا أنه عندما خرج لساحات القتال والغزو ، كان يقاتل بطريقة منظمة ، يرجع الفضل فيها إلى جنكيزخان سيد المغول الأول .

يقول النسوى عن إحدى لقاءات السلطان جلال الدين منكبرتى مع التتار [4] : " ووقف التتار حذاء السلطان على رسمهم أطلاباً متفرقة ومترادفة" والطلب هذا كان عبارة عن فرقة كبيرة من الجيش بلغ عددها في بعض المعارك ألف فارس ، ففي موقعة [أبلستين [*]] سنة ٦٧٥هـ رتب التتار عساكرهم أحد عشر طلباً فى كل طلب ألف فارس [5] ، وأحياناً كان

=وستون فرسخا . الحموي : معجم البلدان . جـ٥ ص٣٣١ .

(١) النسوى : سيرة السلطان جلال الدين . ص١١٨ .

(**) خوارزم : ليس إسما لمدينة إنما هو اسم للناحية بجملتها ، فأما القصبة العظمى فيقال لها الجرجانية . الحموي : معجم البلدان . جـ٢ ص٣٩٥ .

(٢) ابن الأثير : الكامل . جـ١٢ ص٣٩٤ .

(٣) الدوادار : زبدة الفكرة . ص٧٨ .

(٤) سيرة السلطان جلال الدين : ص٢٣٥ .

(*) أبلستين : مدينة مشهورة ببلاد الروم . الحموي : معجم البلدان . جـ١ ص٧.

(٥) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة . جـ٧ ص١٥٠ .

الطلب خمسمائة فارس فقط ، ففي سنة ٦٣٣هـ قطع التتار دجلة فى مائة طلب ، كل طلب خمسمائة فارس . [١]

وكانت هذه الطلب تقسم إلى ميمنة وميسرة وقلب ، يقول الدوادار عن ذلك [٢] : " فى سنة ٦٧٥هـ قرب العدو وفيه من كبار مقدميه [توقوا] و [تداون] وعدتهم اثنى عشر طلبا ميمنة وميسرة وقلباً " ، وكانوا يقاتلون أعداءهم بهذا التقسيم ، فقد التقى السلطان جلال الدين منكبرتى سنة ٦٢٤هـ بالتتار فكسرت ميمنته ميسرة التتار ، ثم حملت ميسرته على ميمنة التتار فطحنتها أيضاً [٣] ، وقبل لقاء المسلمين والتتار سنة ٦٨٠هـ اتفق أن شخصاً من عسكر التتر دخل حماة وقال للنايب بها : اكتب الساعة إلى السلطان على جناح طاير وعرفه أن القوم ثمانون ألف مقاتل ، فى القلب منهم أربعة وأربعون ألفاً من المغل وهم طالبون القلب ــ أى قلب جيش المسلمين ــ وميمنتهم قوية جداً فيقوى ميسرة المسلمين .[٤]

وكان المغول يقسمون المقاتلين أيضاً إلى كراديس [*] يقول ابن الفرات عن لقاء التتار والمسلمين سنة ٦٨٠هـ [٥] : " وأشرفت كراديس التتار ... " ، ويقول بيبرس الدوادار عن ذلك أيضاً [٦] : " أقبلت كراديس التتر كقطع الليل لا يتبين فيها الرجل من الخيل " .

إلى جانب هذا التقسيم العام لهيكل الجيش الخارجي ، كانت هناك تقسيمات داخل هذا الهيكل العام ، الذى يتكون بالطبع من جزئيات عسكرية أصغر من ذلك ، كان أمر الجيوش والعساكر موكل إلى كبير أمراء الألوس وهو المسمى بكلارى بك أى أمير الأمراء ، كما كان قطلو شاه من السلطانين محمود غازان وأخيه محمد خدابنده ... وأمراء الألوس أربعة بكلارى بك ، وثلاثة أخر ، ويسمى

---

(١) المصدر السابق : جـ٦ ص٢٦٠ .
(٢) التحفة الملوكية : ص٨٤ .
(٣) ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب . جـ٥ ص١١٣ .
(٤) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات . جـ٧ ص٢١٥ .
(*) إن الدول القديمة الكثيرة الجنود المتسعة الممالك كانوا يقسمون الجيوش والعساكر أقساماً يسمونها كراديس ، ويسوون فى كل كردوس صفوفه . ابن خلدون : المقدمة . ص٢٥٩ .
(٥) تاريخ ابن الفرات : جـ٧ ص٢١٦ .
(٦) التحفة الملوكية : ص١٦٦ .

هـؤلاء الأربعـة أمـراء القول ... وكل ذي سيف لا يخرج أمره عن القائم بهذه الوظيفة التي هي إمرة أمراء الألوس ... وطبقات الأمراء أعلاها النوين [*] وهو أميـر عـشرة آلاف ، ثم أمير ألف ، ثم أمير مائة ، ثم أمير عشرة ، هذه طبقات رتـبهم لا نقـص فـيها ولا مـزيد عليها ، وعامة العسكر لا تزال أسماؤهم في دواوينهم على الأفراد ، بل كل طائفة عليهم في الديوان فارس معين ، إذا رسم له بالـركوب ركبوا معهم العدة المطلوبة [1] فقد رتبوا عرفاء ومقدمين على الألوف والمئتين والعشرات [2] .

وفـي عهـد جنكيزخان [**] ، كان [تولى بن جنكيزخان] هو ولي أمر الجـيوش وتجهيـز الجنود والنظر في مصالح العسكر [3] ، ويبدو أنه قد خصص جـزء من مقاتلى المغول في الجيش للأعمال البحرية العسكرية ، وهو الأمر الذى صورته لنا بعض المصادر العربية ، يقول ابن كثير [4] : " في سنة ٦٥٨هـ دخل جـيش المغـول صحبه ملكهم هولاكوخان وجازوا الفرات على جسور عملوها ، ووصلوا إلى حلب " ، وكان من هؤلاء المقاتلين أيضاً بعض الغواصين ، من ذلك أن الـسلطان جلال الدين منكبرتى عندما أراد الخوض فى نهر جيحون ألقى جميع مـا كـان فـي صـحبته من آنية الذهب والفضة فى النهر فأمر جنكيزخان الغواصين فأخرجوا منها ما أمكن إخراجه . [5]

(*) نـوين : معناه أمير عشرة آلاف ، وكل اسم من أسماء ملوكهم في آخره [نوين] معـناه رأس عـشرة آلاف ويسمى أيضاً رأس تومان . العيني : عقد الجمان . حوادث سنة ٦٥٨هـ . ص٢٨٢ .

(1) ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار . السفر الثالث ص٢٠٦ ــ ٢٠٧ .

(2) ابن العميد : أخبار الأيوبيين . ص٧ .

(**) اخـتار جنكيـزخان جماعة من حرسه الخاص ، كان يطلق على كل منهم اسم "كـشيكجى " كلمـة مغولـية معناها النوبة) منهم ثمانون شخصاً لنوبة الليل ، وسـبعون لـنوبة النهار ، وكان لإنشاء نظام الحرس الخاص أهمية كبيرة فى الـنجاح الحربـي الذي أحرزه المغول ، وقد اختيرت فرقة خاصة من هؤلاء الحرس ، مكونة من ألف رجل هم نخبة المحاربين ، ويطلق على كل منهم اسم " بهادر " أي مبارز وشجاع ، وهذا الفريق يقوم على خدمة الخان مباشرة ، ولا يخرج إلى الحرب إلا إذا كـان الخـان نفسـه مع جيشـه فى ميدان القتال . د/ الصياد : المغول في التاريخ ص٣٥٩ .

(3) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول . ص١٩٨ .

(4) البداية والنهاية : جـ١٣ ص٢١٨ .

(5) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول . ص٢٠٦ .

قادة الجيوش المغولية

لـم تكن الأسرة المغولية الحاكمة والمتمثلة في جنكيزخان وذريته مـن بعـده ، تجلس في الظل وتترك مهمة قيادة الجيوش المغولية المقاتلة إلـى غيـرها ، بـل كانـت الأسرة الحاكمة ـ وعلى رأسها جنكيزخان سيد المغول ـ هي التي تتولى وتشارك في قيادة هذه الجيوش .

فقد كان جنكيزخان يتولى في أكثر الأحوال مهمة قيادة الجيوش في مـيدان المعـركة بنفسه ، ففي سنة ٦١٧هـ ـ على سبيل المثال ـ نزل جنكيـزخان فـي عساكره على مدينة بخاري وأحاط بها العساكر من جميع جوانبها . [١] وأرسل جنكيزخان عسكراً أكثر من الأول ـ لقتال جلال الدين منكبرتـى ـ مع بعض أولاده ووصلوا إلى كابل ، وقاتلوهم فانهزمت التتر ثانـيا ثـم وصـل جنكيـزخان بنفـسه فـي جيوشه فلم يكن لجلال الدين بـه قـدرة ... [٢] وعندما هزم جلال الدين منكبرتى ، تولى بن جنكيزخان ، قامـت قيامة جنكيزخان واشتد غضبه إذ لم ينهزم لـه جيش قبلها ، فجمع جيشه وسار بهم إلى ناحية السند . [٣]

ولـم يكن جنكيزخان يعرض نفسه لمخاطر قيادة الجيش فقط ، بل كان يشاركه في ذلك أبناءه ، فقد بعث جنكيزخان إلى مدينة خوارزم عسكراً عظـيماً لعظمهـا لأنها كرسي الملك وموضع العساكر فسارت عساكر التتر إلـيها مـع ابنـيه جـنطاي وأركطاي . [٤]بل كان جنكيزخان يشارك جميع أقـرباءه فـي قيادة الجيوش من ذلك أنه جرد إلى خراسان صهره [تفيجار نوين] وأميراً من قواده اسمه [يركانوين] في عشرة آلاف فارس [٥] .

وكان جنكيزخان دقيقاً جداً في اختيار قواد جيوشه . فذكر ابن أبى الحديـد أن جنكيزخان كان قد أمر على هذا الجيش ـ الذى غزا خراسان ـ ابـن عـم لـه شـديد الاختصاص به يقال له [منكلى نوين] وأمره بالجد وسـرعة المـسير ، فلمـا ودعـه ، عطف [منكلى نوين] هذا فدخل إلى

---

(١) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول : ص٢٠٣ .
(٢) ابن الوردي : تاريخ ابن الوردى . جـ٢ ص١٣٨ ـ ١٣٩ .
(٣) ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب . جـ٥ ص٧٨ .
(٤) ابن خلدون : العبر . جـ٥ ص١١٧ .
(٥) النسوى : سيرة السلطان جلال الدين . ص١١٣ .

خـركاه [*] فـيها امـرأة له كان يهواها ليودعها ، فاتصل ذلك بجنكيزخان فـصرفه في تلك الساعة عن إمارة الجيش وقال : من يثني عزمه امرأة لا يـصلح لقـيادة الجـيوش ورتـب مكانـه ـ لغـزو خراسان ـ القائـد جرماغون [١] .

ولم تقصر مهمة قيادة الجيوش على جنكيزخان وأبناءه وأهل بيته فـي عهـده فقط ، بل استمر هذا الأمر من بعده فقد كان هولاكو ذا سطوه ومهابة .. وخبرة بالحروب وشجاعة ظاهرة [٢] ، وقد قاد الجيوش المقاتلة بنفـسه وفـتح بـلاد العراق والشام ، وفى سنة ٦٨١هـ دخل المغول إلى الشام وعلى رأسهم [منكوتمر] الأخ الأصغر لأباقا خان ابن هولاكو . [٣]

وكـان أرغـون خان بن أباقا مقداماً شجاعاً جباراً شديد القوى ، يـصف ثلاثـة أفـراس ، ويقف إلى جانب أولها ويطير في الهواء ويركب الـثالث[٤] غيـر أن المغول بعد أن استقروا في بلاد فارس والعراق ، كانت أغلـب قيادة الجيش موكلة إلى مقدمي التتار ، وقلت قيادة الأسرة الحاكمة للجـيوش ، على العكس من مرحلة غزوهم للبلاد ، فمن أشهر قادة المغول مـن خـارج الأسرة الحاكمة القائـد كتبغا نويـن ، يقول ابن تغرى بردى عـنه [٥] : " كـان بطـلاً شجاعاً مقداماً خبيراً بالحروب وافتتاح الحصون والاسـتيلاء علـى الممالك ... يحكى عنه عجائب في حروبه " ، وكان هذا الخبـيث قد فتح لأستاذه هولاكو من أقصى بلاد العجم إلى الشام ، وقد أدرك جنكيزخان جد هولاكو [٦] وكان هولاكو يتيمن برأيه ويحترمه . [٧]

هـذا ولم تكن قيادة الجيوش المغولية قاصرة على أعضاء الأسرة الحاكمـة أو القادة المغوليين فقط ، بل عرف المغول أيضاً القيادة المشتركة

---

[*] خـركاة : جمعهـا خـركاوات .. وهـي كالبيت تصنع من الخشب على هيئة مخصوصة تغشى بالجوخ ونحوه = = وتحمل فى السفر لتكون فى الخيمة لتقي المعسكر من البرد . البقلي : التعريف بمصطلحات صبح الأعشى . ص١١٧ .

[١] شرح نهج البلاغة : جـ٢ ص٣٦٥ .

[٢] الحنبلي : شذرات الذهب . جـ٥ ص٣١٦ .

[٣] ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول . ص٢٥١ .

[٤] الذهبى : دول الإسلام . جـ٢ ص١٩٢ .

[٥] ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة . جـ٧ ص٨٣ .

[٦] ابن كثير : البداية والنهاية . جـ١٣ ص٢٢٦ .

[٧] الذهبى : العبر . جـ٣ ص٢٩١ .

لجموع المقاتلين ، فقد كان الجيش يقاد من عناصر مغولية وغير مغولية ، خاصة عندما يتحالف المغول مع غيرهم ، من ذلك أنه في يوم الخمس ثامن جمادى الآخرة سنة ٦٧٤هـ نزل التتار على البيرة (*) في ثلاثين ألف من المقاتلة منهم خمسة عشر ألفاً من المغول وخمسة عشر ألفاً من الروم ، فعلى المغول أمير يسمى [أبطاى] وعلى الروم الأمير معين الدين سليمان البروانـاه ومعهم جيش الموصل وجيش ماردين ، والأكراد . (١)

رواتب الجيش المغولي

لم يكن المقاتل المغولي ينخرط في جيش أمته ويشارك في الغزو دون مقابل ، بل كان لكل فرد من أفراد الجيش راتباً يتقاضاه نظير ما يقوم به من أعمال عسكرية ، كل حسب درجته ورتبته في هذا الجيش .

فكان المقرر من قديم لكل نوين أمير تومان ، تومان وهو عشرة آلاف دينار رائج (*) عنها ستون ألف درهم ، وأما اليوم فما يقنع النوين منهم إلا بخمسين تومان وهي خمسمائة ألف دينار رائج ، عنها ثلاثة آلاف ألف درهم ... أما كبيرهم بكلارى بك فالذي استقر [لجوبان] ثم لمن بعده ثلاثمائة تومان ، وهي ثلاثة ألف ألف دينار عنها ثمانية عشر ألف ألف درهم ، مع ما يحصل لكل من أمراء الألوس الأربعة من الخدم الكثيرة في البلاد جميعها أما أمير الألف ومن دونه فلا يتجاوز أحد منهم مقرره القديم — من زمن هولاكو — في الديوان ، لأمير الألف ، ألف دينار رائج عنها ستة آلاف درهم أما أمير المائة وأمير العشرة ، وكل واحد من العسكرية أي الجند ، فمائة دينار رائج ، عنها ستمائة درهم لا تفاوت بينهم ، هذا هو المقرر الجاري من قديم ، وإنما تبقى مزية أمير المائة أو العشرة أنه يأخذ

(*) البيرة:بلد قرب سميساط بين حلب والثغور الرومية . معجم البلدان . جـ١ص ٥٢٦.

(١) العيني : عقد الجمان . حوادث سنة ٦٧٤هـ . ص١٣٩ .

(*) الدينار الرائج أو الرابح هو الدينار الذى كان يتعامل به أهل توريز — بفارس — ويساوي سنة دراهم.القلقشندي:صبح الأعشى . جـ٢ ص٤٢٢ بتصرف بسيط .

لنفسه شيئاً مما هو للعسكرية.[١]

ولكل طائفة أرض لنـزولهم ، توارثها الخلف عن السلف منذ ملك هولاكـو الـبلاد ، فـيها مـنازلهم ، ولهم بها مزدرع لأقواتهم ، لكنهم لا يعيشون بالحرث والزرع . [٢]

المقاتلون المرتزقة [*] فى الجيش المغولي

عـندما خـرج الجـيش المغولي من موطنه الأصلي ، وراح يغزو بلدان العالم فى آسيا وأوروبا ، كان المقاتلون بين صفوفه فى البداية مغولاً خلـصاً ، ولكـن مـا إن توغلوا فى الغزو ، حتى راح ينخرط بين صفوف الجـيش المغولـي مقاتلـين مـن جنسيات مختلفة ، يمكن أن نطلق عليهم [مقاتلين مرتزقة] أى مقاتلين بجانب المغول ، بدافع الرغبة فى الغنائم ، أو بدافع الخوف من المغول واتقاء شرهم .

ففـي سـنة ٦١٧هـ وصل التتر إلى الرى فى طلب خوارزم شاه محمـد .. فجـدوا الـسير فـى أثره ، وقد انضاف إليهم كثير من عساكر المـسلمين والكفار وكذلك أيضاً من المفسدين ممن يريد النهب والشر . [٣] يقـول ابـن الـوردى عن جيش منكوتمر شقيق أبغاخان الذى هزم على يد المسلمين : " وكان التتر نحو ثمانين ألفاً منهم مغول خمسون ألفاً والباقون كـرج [**] وأرمن وعجم وغيرهم " . [٤] وفى سنة ٦٩٩هـ وصل غازان بـن أرغون بن أبغا بن هولاكو ملك التتار بجمع عظيم من المغول والكرج

---

[١] ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار . السفر الثالث ص٢٠٨ .

[٢] القلقشندي : صبح الأعشى . جـ٤ ص٢٢٥ .

[*] إن الجـيش المغولـي الـذى نهب بغداد فى عام ١٢٥٨م كان يضم جورجيين وأرمن وفرسا . إدواردز : جنكيزخان سيد المغول . الثقافة العالمية . عدد ٨٣ ص٧١.

[٣] ابن الأثير : الكامل . جـ١٢ ص٣٧٣ .

[**] الكـرج : جـيل مـن الناس نصارى ، كانوا يسكنون فى جبال القبق ، وبلد السرير ، فقويت شوكتهم حتى ملكوا مدينة تفليس.الحموي:معجم البلدان . جـ٣ ص٤٤٦ .

[٤] تاريخ ابن الوردى : جـ٢ ص٢٢٢ .

وغيرهم إلى الشام . [١]

يقول بيبرس الدوادار عن هجوم التتار على الشام سنة ٧٠٢هـ[٢] : " أقبلوا في مائة ألف من المغل والكرج والأرمن وغيرهم من الجيوش الملفقة والطوائف التي ليست إلا على الفساد متفقة " ، هذا إلى جانب غيرها من الصور والشواهد التي وردت في المصادر العربية والتي تؤكد على وجود المقاتلين المرتزقة في صفوف الجيش المغولي .

---

[١] ابن حبيب : تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه . تحقيق د/ محمد أمين . ط ـ دار الكتب المصرية سنة ١٩٧٦م . جـ١ ص٢٢٠ .

[٢] التحفة الملوكية : ص١٦٦ .

المرأة المغولية المقاتلة

ألزم ــ جنكيزخان في الياسا ــ نساء العساكر بالقيام بما على الرجال من السخر والكلف في مدة غيبتهم في القتال [١] لكن نساء المغول لم يكن دورهن قاصر على الخدمة والسخرة فقط ، بل كانت المرأة المغولية تمارس القتال [*] مثل الرجال ، يقول الذهبي [٢] : " نساؤهم يقاتلن " ويؤكد ذلك السيوطي [٣] بقوله : " ونساؤهم يقاتلن كرجالهم " .

فقد كانت المرأة المغولية تمارس القتال بالفعل يقول ابن الأثير عن ذلك [٤] : " وبلغني أن امرأة من التتر دخلت داراً وقتلت جماعة من أهلها وهم يظنونها رجلاً ، فوضعت السلاح وإذا هي امرأة ، فقتلها رجل أخذته أسيراً " ، يقول المكين بن العميد عن كسرة التتار في عين جالوت [٥] : "واستولت المسلمون عليهم وأسروا منهم ومن نسوانهم خلقاً كثيراً ومن جملة من أسروا ... زوجة كتبوغا ... " ، ويقول في موضع آخر [٦] : " وبلغ هولاكو أن عساكر مصر خرجت إلى الشام وكسرت عساكره ... وأن كتبوغا قد قتل وأكثر التتار قد قتلوا وأسر من بقى وأخذت نسوانهم " . [*]

ولم تنفرد المصادر العربية بهذا الأمر ، بل أكدته المصادر الفارسية أيضاً ، فقد ذكر الجويني أنه عندما دخل التتار مدينة [نيسابور] أمر [تولى ابن جنكيزخان] ، ثأراً لدم [تغاجار] ــ الذى قتل على يد الخوارزميين ــ أن يهدموا المدينة بشكل يمكن زراعة أرضها ، (أي

---

(١) المقريزي : الخطط . جـ٢ ص٢٢١ .

(*) إن النساء كن يركبن الخيل كالرجال ، وكن يستعملن الأقواس والسهام ، ويقدرن على البقاء على ظهر الحصان زمناً طويلا ، ويذهبن مع الرجال إلى القتال . د/ الصياد : المغول فى التاريخ . ص٣٥٣ .

(٢) سير أعلام النبلاء : جـ١٦ ص٢٠٣ .

(٣) تاريخ الخلفاء : ص٤٦٧ .

(٤) الكامل فى التاريخ : جـ١٢ ص٣٧٨ .

(٥) أخبار الأيوبيين : ص٥٣ .

(٦) المصدر السابق : ص٥٤ .

(*) مع أن النساء لسن ضليعات فى مجال الفروسية ، إلا أنهن كن يحضرن السهام ويجمعنها من أرض المعركة . إدواردز : جنكيزخان سيد المغول . مجلة الثقافة العالمية ــ عدد٨٣ ص٩٩ .

تـــتحول المدينة إلى سهل ، لا يبقى فيها حجر على حجر) وأن يقتصوا من كـــل حـــي فـــيها لا يتركون هراً ولا كلباً حياً ، وكانت ابنة جنكيزخان حرم تغاجار ، ترافقهم في هذه الحملة ، فدخلت المدينة بنفسها فمن وجدته مازال حـــياً أمـــرت بقتله في الحال ، إلا أربعمائة حرفي وصانع ، فقد أبقوا عليهم أحـــياء ، وأرســـلوهم إلـــى تركـــستان .. وقـــد فصلوا رؤوس القتلى عن أجـــسادهم ، وجمعوا رؤوس الرجال في ناحية ورؤس النساء والأطفال في ناحية أخرى ...فكانت الذئاب والذباب تحتفل في صدور الجثث . [1]

[1] الجويني : تاريخ فاتح العالم . جـــ١ ص١٧١ .

موارد الإنفاق على المقاتل المغولي

كان عتاد المقاتل المغولي من مأكل ومشرب وملبس وسلاح ووسائل للنقل ، يحتاج إلى موارد عدة كي تفي بحاجات هذا المقاتل . لذا فقد تعددت موارد الإنفاق على المقاتل المغولي ، وإن كان بعضها من الموارد الغير شرعية فإن ذلك يتفق مع طبيعة المغول أنفسهم الذين ألفوا الإغارة والسطو والحياة الهمجية .

كان في مقدمة هذه الموارد ما حبا الله به موطنهم الأصلي من موارد طبيعية كان يستغلونها ، وقد صور لنا هذه الموارد السيوطي في الرسالة التي بعث بها جنكيزخان إلى السلطان خوارزم شاه قال له فيها [1] : " وأنت أخبر الناس ببلادي ، وأنها مثارات العساكر والخيول ، ومعادن الذهب والفضة ، وفيها كفاية عن غيرها " ، غير أن المغول كانوا يسدون حاجاتهم أيضاً عن طريق التجارة الواردة إليهم من إقليم ما وراء النهر . فقد شرع خوارزم شاه في سد الطرق أمام التجار القاصدين إلى التتار فتعذرت عليهم الكسوات ومنع عنهم الميرة والأقوات التي تجلب وتحمل من أعمال ما وراء النهر [*] إلى تركستان حيث يوجد جنكيزخان.[2]

وبعد أن استقر المغول في البلدان التي فتحوها استغلوا موارد هذه البلاد في سد متطلباتهم يقول القلقشندي عن ممتلكات التتار فيما وراء النهر[3] : " فيها من الحبوب والقمح والشعير والحمص والأرز وسائر الحبوب ... وسائر أنواع البقول " . لكن قبل أن يتوطن المغول في البلاد التي فتحوها ، كانوا يعتمدون على غنائم الحرب أو ما يمكن أن يطلق عليه ـ السلب والنهب [*] ـ ففي سنة ٦١٦هـ وصل التتر إلى مرو[**] فانهزم المسلمون ، ووضع التتر السيف فيهم ، فلم يسلم منهم إلا القليل ، ونهبت أموالهم وسلاحهم [4] ، وفي سنة ٦٣٤هـ نزل التتار على أربل وحاصروها ... وترحلت الملاعين بغنائم لا تحصى . [1]

(١) تاريخ الخلفاء : ص٤٦٩ .

(*) ما وراء النهر : يراد به ما وراء نهر جيحون بخراسان . الحموي : معجم البلدان. جـ٥ ص ٤٥ .

(٢) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة . جـ٢ ص٣٦٣ .

(٣) صبح الأعشى : جـ٤ ص٤٣٢ .

(*) في إحدى لقاءات التتار مع جلال الدين منكبرتي ، رأى التتار أن السلطان أبطأ في الخروج لقتالهم ، فجردوا ألفي فارس إلى الجبال ليجمعوا من الغارات ما يقوتهم مدة الحصار . النسوي : سيرة السلطان جلال الدين . ص٢٣٤ بتصرف بسيط .

(**) مرو:أشهر مدن خراسان وتعتبر قصبتها.الحموي : معجم البلدان جـ ٥ ص ١١٢ .

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب . جـ٤ ص٥٨ .

... وترحلت الملاعين بغنائم لا تحصى . [١]

وصور لنا المكين بن العميد مورداً آخر من موارد المغول المالية ، هو بيع الغنائم والاستفادة من ثمنها فى شراء مستلزمات المقاتلين ، خاصة إذا كانت الغنائم من الأسرى ، يقول عن ذلك [٢] : " وأسروا فيها — أى حلب — من النسوان والصبيان ما يزيد على مائة ألف نفس وأكثرهم بيعوا فى بلاد الفرنج ، وبلاد الأرمن ، ونقلوهم إلى جزائر البحر الجوانية " . غير أن المغول كانوا يعتمدون على الغنائم من المسلمين حتى بعد دخول قادتهم وملوكهم فى الإسلام مثل الخان المسلم غازان يقول ابن حبيب عن غنائم غازان فى هجومه على بلاد الشام سنة ٦٩٩هـ[٣] " وضبط ما حمل إلى خزانة غازان فكان ثلاثة آلاف ألف وستمائة ألف درهم سوى ما وصل إلى غيره ... " فقد انتشرت جيوش التتار بالشام طولاً وعرضاً وذهب للناس من الأهل والمال والمواشي مالا يحصى . [٤]

وهناك مورد آخر كانت تسد به حاجات المقاتل المغولي، وهو ضرب [الإتاوات] على بعض الأقاليم التى تقدم لهم فروض الطاعة ، خوفاً من بطشهم واتقاءً لشرهم . من ذلك أن التتار كانوا يطاردون خوارزم شاه فمروا على أهل همذان فاخرجوا لهم ما حضرهم من الأموال والثياب والدواب فأمّنوهم ، ثم ساروا إلى زنجان ففعلوا ذلك . [٥]

وفى سنة ٦٤١هـ حكمت التتار على بلد الروم ، والزم صاحبها بأن يحمل لهم كل يوم ألف دينار ومملوكاً وجارية وفرساً وكلب صيد . [٦]

كانت هذه الموارد مهمة جداً وضرورية لسد متطلبات المقاتل المغولى فبدونها لم يكن فى استطاعت هذا المقاتل أن يقوم بأي دور عسكري ناجح ، بل كان مصيره الفشل . يقول ابن الفرات عقب هزيمة التتار من المسلمين سنة ٦٨٠هـ [٧] : " وما برحت الأسرى من التتر فى هذه الأيام متواترة متواصلة إلى دمشق والأخبار مترادفة بما نالهم من الضعف والمشقة وهلاك خيولهم وتخطف الناس لهم ، وأنهم تمزقوا فى البرارى والجبال وهلكوا جوعاً وعطشاً " . وفى سنة ٧٠٠هـ أراد غازان الهجوم على بلاد الشام، لكنه رجع بعد أن أصابهم هجوم البرد وكثرة الأمطار والوحل ، وعدمت الأقوات والمراعي من كثرة الثلج فارتحلوا إلى

---

(١) الحنبلي : شذرات الذهب جـ٥ ص١٦٢ .
(٢) أخبار الأيوبيين : ص٤٩ .
(٣) تذكرة النبيه : جـ١ ص٢٢٠ .
(٤) اليافعي : مرآة الجنان . جـ٤ ص٢٣٠ .
(٥) ابن خلدون : العبر . جـ٥ ص١١٣ .
(٦) مرآة الجنان : جـ٤ ص١٠٤ .
(٧) تاريخ ابن الفرات : جـ٧ ص٢٢٢ .

بلادهم. [1]

وفـــى رجـــب وشـــعبان سنة ٧١٢هـ حصل للناس خوف بدمشق بـــسبب أن التتر قد تحركوا للمجيء إلى الشام فانزعج الناس ... ثم رجعوا عن دمشق بسبب قلة العلف وغلاء الأسعار وموت كثير منهم . [2]

---

[1] ابن خلدون : العبر جـــ٥ ص٤١٥ .

[2] ابن كثير : البداية والنهاية . جـــ١٤ ص٦٦ ــ ٦٧ .

أسلحة المقاتل المغولي

السلاح هو آلة الحرب أو حديدتها أو كل ما يُدفع به العدو من سيف ورمح وغير ذلك . وقد أطلق هذا الاسم على كل آلة يتخذها الإنسان للهجوم أو للدفاع ، ولضرب العدو أو لدفع ضرباته [١] . وقد استطاع المقاتل المغولي أن يحرز ما أحرزه من انتصارات من خلال ما توفر له من ترسانة الأسلحة التى كانت لديه . وكانت بعض هذه الأسلحة خاصة بالمقاتل المغولي دون غيره من مقاتلي عصره ، وقد صورت المصادر العربية سلاح المقاتل المغولي تصويراً شبه دقيق ، جعلت من القارئ لهذا التصوير كأنه شاهد عيان له .

يقول ابن الأثير على لسان أحد جواسيس خوارزم شاه على جنكيزخان [٢] : " إنهم يخرجون عن الإحصاء ، وأنهم من أصبر خلق الله على القتال لا يعرفون هزيمة ، وأنهم يعملون ما يحتاجون إليه من السلاح بأيديهم" فقد كان المغول يصنعون أسلحتهم بأيديهم . وأكد ذلك مصدر آخر معاصر لهم هو ابن أبى الحديد الذى يقول [٣] : " يعملون ما يحتاجون إليه من سلاح بأيديهم " . ويقول ابن العبرى أيضاً [٤] : " فى سنة ٦٥١هـ توجه هولاكو من نواحي قراقورم ــ عاصمة المغول الكبرى ــ إلى البلاد الغربية ، وصير معه ألف بيت من صناع المنجنيقات وأصحاب الحيل فى إصلاح آلات الحرب " .

وقد أكد هذا الأمر أيضا ، المصادر الفارسية المعايشة للمغول مثل الجوينى الذى يقول بدوره عن ذلك [٥] : " كان هناك رجل حرفته صناعة الأقواس ، ولكنه يصنع أقواساً سيئة ، حتى عرف فى قراقورم فلم يرغب أحد بالشراء من عنده " .

على الرغم من أن التتار كانوا يعتمدون على أنفسهم فى صناعة أهم شئ فى العتاد العسكري وهو السلاح ، إلا أنهم كانوا لا يمانعون من استخدام أسلحة غيرهم ، خاصة المجلوبة لهم عن طريق الغنائم . يقول

---

(١) الطرسوسى : تبصرة أرباب الألباب فى كيفية النجاة فى الحروب من الأنواء ونشر أعلام الأعلام فى العدد والآلات المعينة على لقاء الأعداء . تحقيق / كارين صادر ــ ط ــ دار صادر ــ بيروت ــ لبنان ــ الطبعة الأولى سنة ١٩٩٨م . ص٥ مقدمة التحقيق .

(٢) الكامل فى التاريخ : جـ١٢ ص٣٦٢ .

(٣) شرح نهج البلاغة : جـ٢ ص٣٦٣ .

(٤) مختصر تاريخ الدول : ص٢٣٠ .

(٥) تاريخ فاتح العالم : جـ١ ص٢٠٤ .

الجـزرى عـن توابع هزيمة المسلمين من التتار سنة ٦٩٩هـ [١] : " بعد انفـصال الـواقعة لـم يقتلوا ـ أى التتار ـ أحداً وإنما يأخذون سلاح من وجدوه ومركوبه ويطلقونه.[*] "

وكـان جنكيـزخان يحـث بنى جنسه على أهمية السلاح بالنسبة للمقاتـل فإلـى جانب أنه كان يعين [جيفان نوين] ـ أحد قواده ـ سلاح داراً لـــه [٢] . حثهم أيضاً على المحافظة على السلاح فى [الياسته] من ذلـك قولـه : من وقع حمله أو قوسه أو شئ من متاعه وهو يكر أو يفر فـى حالـة القتال،وكان وراءه أحد فإنه ينزل ويناول صاحبه ما سقط منه ، فـإن لم ينزل ولم يناولـه قتل[٣] وكانوا متى تجهزوا للقتال ، عرضوا آلات الحـرب [*] وغيـرها علـى أمـرائهم حتى تعتبر أمراؤهم الخيط والإبرة ، ويؤاخذونهم على تجويد آلة أو تقصير فى سلاح[٤].

وقد استغلوا هذه الأسلحة فى كل حروبهم فمازالوا يطوون الأرض ويـضربون إلـى أن كلت أسلحتهم ، وتكللت أيديهم مما قتلوا . [٥] أما عن نوعـية الأسـلحة التى كان يتسلح بها المقاتل المغولي ، فيأتي فى مقدمتها النشاب [**] . يقول السيوطي عن ذلك [٦] :"والغالب على سلاحهم النشاب" ،

---

(١) حـوادث الـزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه . تحقيق د/ عمر تدمـرى . ط ـ المكتـبة العـصرية ـ صيدا ـ لبنان ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٩٨م . جـ١ ص٤٦٣ .

(*) لم يكن إطلاق سراح الأهالي المسلمين وعدم قتلهم ـ على غير عادة التتار ـ راجعاً إلى زهد التتار فى القتل ، بل إلى إسلام ملكهم وقتذاك ـ السلطان غازان ـ وكراهيته إراقة دماء المسلمين .

(٢) تاريخ ابن الفرات : جـ٧ ص٦٨ .

(٣) المقريزي : الخطط . جـ٢ ص٢٢٠ .

(*) كـان الـرجال الخاضـعون للحرب ، إذا حانت ساعة الحرب لم يترفعوا ، ولم يأنف الـشريف ولا الوضـيع ، فهـم جمـيعاً يعدون أنفسهم ضاربي سيوف ، ورامي نبال وطاعنـين بالـرماح ، يـستقبلون العدو بأي سلاح وقع تحت أيديهم ، ولا يكلون ولا يتعـبون ، المـصلحة الحـربية فوق كل اعتبار ، والانتصار أولا حتى وإن كانت آلة الحرب حبلا . الجويني : تاريخ فاتح العالم . جـ١ ص٦٥ .

(٤) العمرى : مسالك الأبصار . السفر الثالث ص١٠٩ .

(٥) اليافعي : مرآة الجنان . جـ٤ ص٣٧ .

(**) كـان المقاتل المغولي يمتلك ترسانة من رؤوس الأسهم المختلفة منحته الأفضلية على خصومه ، بالإضافة للأسهم المخصصة للقتل ، كانت هناك أسهم أخرى تصفر بالهواء لارعـاب العدو ، وكان المقاتل أيضا مسلح بالقوس المركب وهو مصنوع من الخشب ذو وتـر قـوي ، وكـذلك بوق وثلاث جعبات من الأسهم ، ورمح ذو كلاب وفخ ، وسيف بالاضافة إلى خنجر مثبت قرب ذراعه اليسرى إدواردز :جنكيزخان سيد المغول ـ الثقافة العالمية ـ عدد ٨٣ ص١١١ ـ ١١٣ . وللمزيد انظر ملاحق هذا البحث .

(٦) تاريخ الخلفاء : ص٤٦٧ .

ويمكن تفسير السبب فى اعتماد المقاتل المغولي على النشاب أو الأسهم فى حروبه ، من خلال ما ذكره المؤرخ الطرسوسى ـ الخبير فى شئون الأسلحة ـ الذى يقول عن فائدة استخدامه عموماً [١] : " القوس من الآلات العجيبة التركيب القوية فى نكاية الأعداء ... لأن الرامي يبلغ بها من عدوه الغرض ... قبل أن يصل إليه بأذى أو يباشره بقتال لأنه لا يدرى حتى تفاجئه بها المنية من حيث لا يحتسب " . وقد استخدم المقاتل المغولي السهام فى كل معاركه . يقول ابن كثير عن حصار المغول لبغداد [٢] : " أحاطت التتار بدار الخلافة يرشقونها بالنبال من كل جانب " . ويقول الدوادار عن إحدى معارك المغول مع المماليك سنة ٦٩٩هـ [٣] : " أرسلوا ـ أى التتار ـ عليهم دفعة من نابل السهام أغزر من وابل الغيام ، فأصيبت الخيول فلم تثبت " ، فقد أرسل الملك غازان فى هذه الموقعة عشرة آلافمن المشاة [*] يرمون بالنشاب حتى أصابت سهامهم خيولاً كثيرة وألقى الفرسان عنها . [٤]

وكان المقاتل المغولي يستخدم السهام الحارقة أيضاً ، من ذلك أن التتار عندما طاردوا سلطان الروم ، أرسلوا إليه شهباً كالشهب الحارقة ، فأهلكوا أكثر خيله ، وخيل من معه ، وكان السهم لا يقع إلا فى الفارس أو الفرس . [٥]

ومن الأسلحة التى استخدمها المقاتل المغولي وصورتها لنا المصادر العربية [السيف] لكنه كان ذو طبيعة خاص ، وقد وضحه المؤرخ المجهول بقوله [٦] : " سيف المغول سيف صغير نحو المشمل [*] ، إلا أنه أطول منه وأدق وغمده كالسوط ، ويتخذ على نحو العكاز " . وكانت لهم سيوف أخرى خاصة بهم أيضاً كانت على غير المألوف من

---

(١) تبصرة أرباب الألباب : ص٧١ .
(٢) البداية والنهاية : جـ١٣ ص٢٠٠ .
(٣) زبدة الفكرة : ص٣٥٨ .
(*) كان الفارس المغولي على عهد جنكيزخان قادر على إطلاق ستة أسهم فى الدقيقة الواحدة . إداوردز : جنكيزخان سيد المغول ـ الثقافة العالمية ـ عدد٨٣ ص٧٧ .
(٤) المقريزي : السلوك . جـ١ قسم ٣ ص٨٨٧ .
(٥) العيني : عقد الجمان . حوادث سنة ٦٥٤هـ . ص١١٩ .
(٦) خزانة السلاح : تحقيق د/ نبيل عبد العزيز . ط ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ سنة ١٩٧٨م . ص٣١ مقدمة التحقيق .
(*) السيف المشمل : سيف صغير يشتمل عليه الرجل بثوبه . المصدر السابق : نفس الصفحة .

سيوف عصرهم ، يقول عنها ابن أبي الحديد [١] : " وفي التتر صنف سود يشبهون الزنج ، لهم سيوف عريضة جداً على غير صورة هذه السيوف " ويمكن إرجاع سبب اعتمادهم على السهام أكثر من السيوف ، إلى عدم توفر مهارة المبارزة في المقاتل المغولي وقد أكد ذلك الأمر الذهبي بقوله [٢] : "ويطعنون بالسيوف أكثر مما يضربون بها " .

ومن الأسلحة التي استخدمها المقاتل المغولي في مهام القتال [السكاكين] [*] ، أو الخناجر ، وقد صور لنا ذلك ابن الأثير بقوله [٣]: "إن أحدهم كان ينزل عن فرسه ويقاتل قرنه راجلا ويتضاربون بالسكاكين " . ويقول النويري أيضاً [٤] : " لما دخل التتار همذان قاتلهم الناس في الدروب بالسكاكين فقتل من الفريقين مالا يحصى ، ثم قوى التتار على المسلمين فأفنوهم " .

واستخدم المقاتل المغولي أيضاً أسلحة القتال الأخرى كالرماح ــ التي لم تتحدث عنها المصادر العربية صراحة في نصوصها ويمكن أن نعتبره قد استخدمها ضمناً لأنها كانت من أسلحة عصره ــ كما استخدم أدوات الفلاحة والهدم ــ كالمعاول والفؤوس ــ في القتال أيضاً . يقول النسوي عن أفعال التتار في أهل خوارزم بعد احتلالهم لها[٥] : " وضعوا فيهم ــ أي في أهل خوارزم ــ السيف ، بل المعاول والفؤوس ، إلى أن أضجعوهم على العراء وجمعوهم في حيز الفناء " .

هذا وقد استخدم المقاتل المغولي إلى جانب الأسلحة القاتلة التي كان يوجهها إلى عدوه ، الأسلحة الواقية كالترس [**] ونحوه . يقول الذهبي [٦] : " جواشنهم [*] من جلود " . ويقول ابن الوردي عن إحدى

---

(١) شرح نهج البلاغة . جـ٢ ص٣٦٦ .
(٢) سير أعلام النبلاء : جـ١٦ ص٢٠٣ .
(*) تتفق أحوال السكاكين والغرض الذي تستخدم فيه ، فسكين الحرب [المنجاه] لا تكون إلا عوجاء . مجهول : خزانة السلاح . ص٨٦ مقدمة التحقيق.
(٣) الكامل في التاريخ : جـ١٢ ص٣٦٤ .
(٤) نهاية الأرب : جـ٢٧ ص٣١٧ .
(٥) سيرة السلطان جلال الدين : ص١٧٣ .
(**) الترس : هو الآلة التي يتقي بها المحارب الضرب والرمي عن الوجه ، وتكون من حديد أو خشب أو جلد . مجهول : خزانة السلاح.ص٥٦ مقدمة التحقيق.
(٦) سير أعلام النبلاء : جـ١٦ ص٢٠٣ .
(*) جواشن : جمع جوشن : وهو مثل الزرد يلبس على الظهر والفرق بينه وبين الزرد ، أن الزرد يكون من حلقة واحدة فقط ،والجوشن يكون حلقة حلقة يتداخل فيها صفائح رقيقة . محمد البقلي : التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ص٩٣.

هـزائم التتار [١] : " قاتلوا بالنشاب ، وعملوا السروج ستائر " ، أى سروج الخيول ستائر يتقون بها سهام المسلمين ورماحهم .

ومـن الأدوات التى استخدمها المغول فى الحرب ــ وإن كانت غير وقائـية ولا قاتلة ، بل حماسية ــ الطبول التى كانوا يقرعونها لشد حماسة المقاتلين . يقول المقريزي [٢] : " فى سنة ٧٠٢هـ قدم السلطان إلى مصر والأسـرى مـن التـتار بين يديه مقيدون ... وطبولهم قدامهم مخرمة " . وكذلك الصناجق [**] والجتر [***] الذى يحمي ملوكهم من الحرارة وغيرها. يقـول المقريـزي عن ذلك أيضاً [٣] : " ودخل المنصور قلاوون قلعة الجبل وأسرى التتار بين يديه ، وقد حمل بعضهم الصناجق التترية وهي مكسورة ... وطبول التتار وجتر منكوتمر " .

أدوات المقاتل المغولي فى الحصار

تعـددت الأسلحة التى استخدمها المقاتل المغولي فى القتل والطعان وفـى وقاية نفسه من ضربات الأعداء ، كذلك تعددت أسلحته أو أدواته فى حـصار المدن والقلاع التى استعصت عليه ، وقد صورت المصادر العربية أدوات الحـصار هذه ، فكانت تذكرها أحيانا على سبيل الإجمال من ذلك قول النويـري [٤] : " وافـى التـتار تخوم [خوارزم] وأقاموا بالبعد منها حتى تكاملـت عدتهم وآلات الحصار ، ثم تقدموا إليها " ، وقول ابن الوردى [٥] : " تركوا ــ إي التتار ــ آلات الحصار فصارت للمسلمين " .

لكـن المصادر العربية حددت لنا فى نفس الوقت نوعية هذه الآلات ، فكـان فـى مقدمتها [المنجنيق [*]] من ذلك أن هولاكو نزل بنفسه على

---

(١) تاريخ ابن الوردى : جـ٢ ص٢٤٣ .
(٢) السلوك : جـ١ قسم ٣ ص٩٣٩ .
(**) سناجق : رايات صفر صغار تربط بطرف الرماح يحملها السنجق دار . صبح الأعشى : جـ٤ ص٨ .
(***) جتر : مظلة أو خيمة من حديد أصفر مزركش بالذهب على أعلاها طائر من فـضة مطلـية بالذهب ، وتحمل على رأس السلطان فى موكب الصيد . صبح الأعشى : جـ٤ ص ٧ ــ ٨ .
(٣) السلوك : جـ١ قسم ٣ ص٧٠١ .
(٤) نهاية الأرب : جـ٢٧ ص٣٢٩ .
(٥) تاريخ ابن الوردى : جـ٢ ص٢١٤ .
(*) المنجنـيق : اسـم أعجمي أصله " جي نيك " وتفسيره بالعربية [ما أجودنى] وهـي مؤنـثة وجمعها [مجانيق ومنجنيقات ومناجيق]... وهو على أصناف مختلفة ومنه الكبير والصغير ، فمنه المنجنيق الحربي [القرابغرى] ومنه أيضاً الفرنجي . أرنبغا الزردكاش الأنيق فى المناجيق . تحقيق د/ نبيل عبد العزيز .

حلب وبنى عليها سوراً ونصب المنجنيقات واستضعف فى سورها موضعاً عند باب العراق ، وأكثر القتال والزحف عليه ، وفى أيام قلائل ملكوها [١] ، ولما عصت عليهم قلعة دمشق نصبوا عليها المجانيق . [٢]

ولم يكن المغول ينصبون منجنيقاً واحداً فى حصارهم للمدن ، بل عدة مجانيق ، فقد قصد التتار بلاد الروم السلاجقة فحاصروها مدة شهرين ونصبوا عليها أثنى عشر منجنيقاً ، فهدموا أسوارها ، ودخلوها عنوة [٣] وكان عدد مجانيق الحصار يصل أحياناً إلى ثلاثة وعشرين منجنيقاً [٤] بل وصلت فى بعض الروايات إلى خمسة وعشرين منجنيقاً . [٥]

كان المغول يضعون هذه المجانيق أحياناً فى ساحة القتال ، أمام أسوار المدينة المحاصرة . يقول ابن الفرات فى تصوير ذلك [٦] : " نزل التتار البيرة فى يوم الخميس ثامن جمادى الآخرة سنة ٦٧٤هـ وعملوا [*] فى تلك المدينة إحدى عشرة منجنيقاً ، واهتموا بالحصار ونصب المجانيق " ، لكن لعله كان يقصد بأنهم عملوا المجانيق أنها كانت مفككة ، ثم تم تركيبها فى هذه الليلة ، إذ ليس من المعقول أن يصنعوا إحدى عشر منجنيقاً من البداية للنهاية فى ليلة واحدة . ومما يؤكد ذلك أنه عندما دخل غازان دمشق سنة ٦٩٩هـ عصت عليه قلعتها، فنصب عليها منجنيقاً فى الجامع الأموي لقربه منها فأفسده أهل القلعة فأقام التتر منجنيقاً آخر واحترزوا عليه ... فانتدب رجل من أهل القلعة لقتل المنجنيقي ، ودخل الجامع والمنجنيقي فى ترتيب المنجنيق والمغل حوله فهجم عليه وضربه بسكين فقتله . [٧] ومن الأدوات التى كان يستخدمها المقاتل المغولي فى حصاره للمدن والقلاع [الدبابة [*]] يقول النويري عن ذلك [١] : " طفقوا

=ط ـــ مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٨١م . ص٥ مقدمة التحقيق . وللمزيد انظر ملاحق هذا البحث .

(١) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول . ص٢٤٣ .

(٢) ابن الوردى : تاريخ ابن الوردى . جـ٢ ص١٩٩ .

(٣) النويري : نهاية الأرب . جـ٢٧ ص٣٤٩ .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية . جـ١٣ ص٢٦٩ .

(٥) المقريزي : السلوك . جـ١ قسم ٢ ص٤٧٥ .

(٦) تاريخ ابن الفرات : جـ٧ ص٤١ .

(*) بعد أن استعار المغول التقنية من العرب والفرس والصينيين ، فإنهم أتقنوا فن الحصار واستخدام المنجنيقات ، وكانوا يقذفون بأى شئ بما فى ذلك جثث الحيوانات والبشر خاصة إذا كانت تحمل الوباء . إدواردز : جنكيزخان سيد المغول ـ الثقافة العالمية ـ عدد ٨٣ ص١١٣ .

(٧) المقريزي : السلوك . جـ١ قسم ٣ ص٨٣٩ .

(*) الدبابة : مفرد والجمع دبابات ، وهي برج متحرك له أربع طبقات ، يدخل تحته الجنود ويقتربون من السور ... تتحرك على عجلات لمهاجمة الأسوار . محمد

يستعدون للحصار ـ مدينة خوارزم ـ ويستعملون آلاته من المجانيق والدبابات وغير ذلك " .ومن أدوات الحصار أيضاً المتارس [**] التى كانوا يتقون بها ضربات الجنود حراس القلاع والحصون ، يقول النسوي عن حصارهم لخوارزم [٢] : " طفقوا يستعدون للحصار ويستعملون آلاته من المناجيق والمتارس والدبابات" ، وكان يستخدمون أيضاً [العرادات] [***].

ففي سنة ٦٥٦هـ نزل هولاكو بنفسه على باب بغداد وفى يوم وليلة بنى المغول بالجانب الشرقي سوراً عالياً ... وحفروا خندقاً عميقاً داخل السور ونصبوا المنجنيقات بإزاء سور بغداد من جميع الجوانب ورتبوا العرادات وآلات النفط [*] . [٣] ومن الآلات التى استخدمها المغول فى حصارهم واقتحامهم للمدن والحصون [السلالم].فقد حاصر التتار مدينة[شماخى[**]] وصعدوا لسورها فى السلالم وملكوا البلد [٤] . لكن يبدو أن استخدامهم للسلالم فى اقتحام المدن كان ناتجاً عن عدم علو أسوار هذه المدن نسبياً، أو إلى أن استخدامهم للسلالم كان بعد أن تقوم الدبابات والمناجيق بدورها فى هدم الأسوار العالية لهذه المدن ، فتسهّل على المقاتلين مهمة استخدام هذه السلالم .

دهمان : معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي . ط ـ دار الفكر ـ دمشق ـ سوريا ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٩٠م . ص ٧٣ .

(١) نهاية الأرب : جـ٢٧ ص٣٣٠ .

(**) المتارس : جمع مفردها ترس : وهي آلة يتقي بها الضرب والرمي عن الوجة ونحوه وهو يصنع من الخشب أو الحديد ، وهو كالدرقة إلا أن الدرقة تصنع من الجلد . التعريف بمصطلحات صبح الأعشى : ص٧٥ .

(٢) سيرة السلطان جلال الدين : ص١٧٠ ـ ١٧١ .

(***) العرادات : جمع مفردها عراده : وهي من آلات الحرب ، أصغر من المنجنيق ترمي بالحجارة المرمى البعيد . التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ص٢٤٢ .

(*) كان المغول يمطرون المدن بقنابل حارقة من النفط . إدواردز : جنكيزخان سيد المغول ـ الثقافة العالمية ـ عدد ٨٣ ص١١٣ .

(٣) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول . ص٢٣٦ .

(**) شماخي : مدينة عامرة وهي قصبة بلاد شروان في طرف أران ، وتعد من أعمال باب الأبوب . الحموي : معجم البلدان جـ ٣ ص ٣٦١ .

(٤) ابن أبى الحديد : شرح نهج البلاغة . جـ٢ ص٣٦٨ .

وسائل نقل المقاتل المغولي

كان للفروسية عند المغول مركزاً ممتازاً ، وهم على اختلاف أعمارهم كانوا يقضون أعمارهم على ظهر الحصان ، ولا يكادون ينقلون قدماً على الأرض ... وبدون الخيل لم يكن فى مقدور المغول أن يقودوا قطعان الحيوانات الأخرى ، أو أن يرحلوا بسرعة فائقة إلى أماكن نائية هرباً من الجليد أو الجفاف فى الصحراء . [١]

فقد كان المغولي يقضي معظم وقته على ظهر جواده ، وأكد ذلك ابن الفرات فى نص البشارة الواردة إلى القاهرة بنصر المسلمين على التتار والتي جاء فيها [٢] : " إن التتار المخذولين جمعوا كل من اعتقدوا فى ظنهم أنه يهزم الجمع بمفرده ، وانتخبوا كل شجاع لا يألف غير ظهور الجياد من يوم مولده ... " وقد أكسبت هذه العادة المقاتل المغولي ، مهارة فائقة وصلت به إلى حد اللعب على ظهور الجياد [*] يقول ابن الأثير عن ذلك [٣] : " وحكى لى عن رجل منهم أنه قال : اختفيت منهم ببيت فيه تبن ، فلم يظفروا بى ، وكنت أراهم من نافذة فى البيت ، فكانوا إذا أرادوا قتل إنسان ، فيقول : لا بالله ، فيقتلونه ، فلما فرغوا من القرية ، ونهبوا ما فيها ، وسبوا الحريم ، رأيتهم وهم يلعبون على الخيل ، ويضحكون ، ويغنون بلغتهم بقول : لا بالله " .كانت الخيول فى مقدمة وسائل النقل العديدة التى استخدمها المقاتل المغولي فى كل حروبه ، وهذا بالطبع يتفق مع طبيعة ما تمتاز به الخيول من السرعة ، وعدم الهيبة من قعقعة السلاح فى ساحات القتال ، غير أن خيولهم التى كانوا يمتطونها لم يكن لها سروج ذات أهمية ، يقول الذهبي عنها [٤] : " وسروجهم صغار ليست لها قيمة " ، ويمكن إرجاع عدم قيمة سرج المقاتل المغولي ــ على غير عادته فى اهتمامه بكل أدواته العسكرية ــ إلى تمكن هذا المقاتل من ظهر جواده ، فلم يكن يعنيه سرج أو غيره ، لأن أصل الفروسية الثبات على الفرس العري ، وهو الفرس المجرد من السرج ، فان من لم يتفرس على جرائد الخيل لم يصلح ركوبه ولا ثباته ، ولا يؤمن عليه من السقوط ، إن اضطرب فرسه أو أصابته هنة ... فإذا أحكم الفارس الركوب على العرى عاد بعد ذلك إلى

---

(١) د/ فؤاد الصياد : المغول فى التاريخ . ص٣٥٣ .

(٢) تاريخ ابن الفرات : جـ٧ ص٢٢٣ .

(*) كان قطيع من الخيول النشطة في متناول اليد ، مما يسمح بتزويد كل فارس بما يقارب أربع مطايا . إدواردز : جنكيزخان سيد المغول . الثقافة العالمية . عدد٨٣ ص١١.

(٣) الكامل فى التاريخ : جـ١٢ ص٥٠٠ .

(٤) سير أعلام النبلاء : جـ١٦ ص٢٠٣ .

الركوب بالسرج [١] .

ولم تكن هذه الفروسية قاصرة على المقاتل العادي فقط ، بل شاركهم فيها المقاتلين على مستوى القادة ، يقول الذهبي عن أرغون خان بن أبغاخان [٢] : " كان مقداماً شجاعاً جباراً شديد القوى ، يصف ثلاثة أفراس ويقف إلى جانب أولها ويطير فى الهواء ويركب الثالث " . وكان المقاتل المغولي يمتلك جواداً خاصاً به يخالف خيول المقاتلين فى عصره [٣] . يقول بيبرس الدوادار عن ذلك [٤] : " فى سنة ٦٥٩هـ وصل إلى السلطان الظاهر بيبرس رسول الإمبراطور البيزنطي ... فأرسل السلطان للإمبراطور هدية منها بعض التتار الأسارى المأخوذين فى نوبة عين جالوت بخيولهم التترية وعدتهم " . ويؤكد ذلك الأمر ابن الفرات بقوله [٤] : " فى يوم السبت سادس شهر رمضان سنة ٦٨٠هـ حضر رسل ملك اليمن بين يدي السلطان ... فجهز لملك اليمن قطعة زمرد وخيلاً من خيل التتر الأكاديش[٥] وشيئاً من عددهم " .

وكان المقاتل المغولي يعتمد الاعتماد الكامل على الخيول فى كل غزواته ويفضلها على غيرها من الدواب ، وبدونها لم يكن يستطيع أن يقوم بواجباته على أكمل وجه ، يقول ابن الفرات فى تصوير ذلك [٥] : " عندما هزم التتار من المسلمين سنة ٦٨٠هـ اجتاز المنهزمون على كمين من الكرج حول الخمسة آلاف فارس فقالوا لهم : أعطونا خيولكم ننجوا عليها فإنها مستريحة ، فقالوا لهم : ما أنتم أحق منا بخيولنا تسلمون أنتم ونقتل نحن فاقتتلوا فقتل منهم خلق كثير " . بل كانوا يتراجعون عن الغزو أحياناً بسبب الخيول ، ففي سنة ٦٤١هـ غزا [يساورنوين] ــ أحد مقدمي التتار ــ الشام ... لكن عاد عنها لخفي أصاب خيول المغول . [٦]

---

(١) د/ السيد العريني . المماليك . ط ــ دار النهضة العربية ــ بيروت ــ لم تذكر سنة الطبع .ص١١٥.

(٢) الذهبي : دول الإسلام . جـ٢ ص١٩٢ .

(٣) الحصان المغولي برقبته الممتلئة وسيقانه القصيرة ، يبدو قبيح الشكل ، لكن ما يعيبه جماليا يجعله متين البنيان فائق الحيوية . إدواردز : جنكيزخان سيد المغول الثقافة العالمية عدد٨٣ ص١١١ .

(٣) زبدة الفكرة : ص٩٧ ــ ٩٨ بتصرف بسيط .

(٤) تاريخ ابن الفرات : جـ٧ ص٢٢٨ .

(٥) الأكاديش : جمع إكديش وهو اسم للحصان الهجين الأعجمي فى مقابل العراب ، وكانت تجلب من بلاد الروم والترك ، وغالباً ما كانت مشقوقة الأنف وهي صبورة على المسير ، سريعة المشي . محمد دهمان : معجم الألفاظ التاريخية فى العصر المملوكي . ص١٩ .

(٥) تاريخ ابن الفرات : جـ٧ ص٢١٨ .

(٦) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول . ص٢٢٣ .

وفي عام ٧٠٠هـ أراد غازان غزو بلاد الشام فنزلت عليه الأمطار والثلوج ووقع في خيول عساكره وجمالهم الموتان حتى كانت عدة جشار [*] غازان اثنى عشر ألف فرس ، فلم يبق منها إلا نحو الألفي فرس وبقى معظم عساكره بغير خيول ، فرجع وأكثرهم مرتدفون بعضهم بعضاً . [١]

ولم يكن المقاتل المغولي يعتمد على الخيول فقط في الحرب ونقل الأثقال والأحمال ، بل كان يعتمد أيضاً على الإبل [*] وبالإضافة للرواية السابقة التي يفيد ذلك نجد أن غازان عندما دخل دمشق سنة ٦٩٩هـ رسم بأخذ الخيول والجمال ، فأخرج من المدينة زيادة على عشرين ألف حيوان [٢] وكانوا يستخدمون الأبقار أيضاً في العمليات العسكرية خاصة في حمل الأثقال من ذلك أن التتار عندما هجموا على قلعة دمشق سنة ٦٥٨هـ أحضروا منجنيقاً يحمل على عجل والخيول تجرها ، وهم راكبون على الخيل وأسلحتهم على أبقار كثيرة . [٣]

هذا إلى جانب غيرها من وسائل النقل الأخرى من الدواب ، والتي ذكرها القلقشندي ـ خاصة في أملاك التتار فيما وراء النهر- بقوله[٤] : "فيها من الدواب والخيل والبغال والحمير والإبل والبقر والغنم أكثرها "غير أن أكثر الدواب المستخدمة في نقل المقاتل وأسلحته وفي قتاله كانت الخيول.

وسائل نقل الأخبار والأوامر للمقاتل المغولي

كان للمغول وسائلهم الخاصة بهم في نقل عتادهم الحربي ، كما كان لهم وسائلهم الأخرى في نقل الأخبار ، وتبليغ الأوامر لمقاتليهم . وقد صور لنا هذا الأمر ابن فضل الله العمرى بقوله [٥] : " ومن قوانينهم وضعهم البريد [*] بكل مكان ، طلباً لحفظ الأموال ، وسرعة إيصال الأخبار

(*) الجشار : الخيل والأبقار التي تساق مع الجيش.دهمان:معجم الألفاظ التاريخية ص٥٢.

(١) المقريزي : السلوك . جـ١ قسم ٣ ص٩٠٩ .

(*) استخدم جنكيزخان في قطع الطريق إلى الصين.والممتد عبر صحراء جوبي،الجمال ذات السنمتين . إدواردز : جنكيزخان سيد المغول . الثقافة العالمية . عدد ٨٣ ص٧٢ .

(٢) المقريزي : السلوك . جـ١ قسم ٣ ص٨٩٤ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية . جـ١٣ ص٢١٩ .

(٤) صبح الأعشى : جـ٤ ص٤٣٢ .

(٥) مسالك الأبصار : السفر الثالث ص١١٠ .

(*) لما كانت ممالك المغول متسعة ، وجيوشهم ورسلهم تزرع البلاد ذهابا وجيئة ، أعد المغول محطات للبريد (يام) ، فكانت حلقة الاتصال بين الطرق جميعها ؛ وفي كل محط كان يحتفظ بقطيع من الخيول الاحتياطية ، كما كان يعسكر

ومستجدات الأحوال " . وكانوا يقاتلون كل من يحاول أن يعيقهم فى إقامة مثل هذه المحطات البريدية وتأمين الطرق لها ، ففي محرم سنة ٧٠٧هـ وقعت الحرب بين التتر وبين أهل [كيلان] ، وذلك لأن ملك التتر طلب منهم أن يجعلوا فى بلادهم طريقاً إلى عسكره ، فامتنعوا من ذلك . (١)

وكان يطلق على هذا النظام فى الجيش المغولي [نظام الكشافة] وكانت مهمته تقوم فى المقام الأول على نقل الأخبار عن العدو ـ التجسس ـ وفى نقل الأوامر من القيادة العليا للجيش إلى صغار القادة والمقاتلين العاديين . ففي موقعة حمص سنة ٦٨٠هـ رأى التتار أنهم قد هزموا ... فأرسلوا من يكشف لهم الأخبار ، فعاد الكشافة إليهم وأخبروهم بما تم عليهم فركبوا خيولهم وقد فقدوا عقولهم وعادوا راجعين . (٢)

وفى سنة ٦٧٠هـ بلغ التتار أن الملك الظاهر بيبرس بالشام فأرسلوا ألفاً وخمسمائة من المغل ليتجسسوا الأخبار (٣) . فقد كانت أخبار الأمم تصل إليهم ، ولا تصل أخبارهم إليهم ، وقلما يقدر جاسوس أن يتمكن منهم ، لأن الغريب لا يشبههم . (٤)

ولم تكن عملية جمع الأخبار عن العدو قاصرة على فرقة الكشافة ، أو على من يكلف بذلك من خارجها ، بل كان يشترك فى هذه العملية القادة الكبار أيضا ، ومن هؤلاء القائد المغولي هولاكوخان نفسه الذى يقول عنه العيني (٥) : " فى سنة ٦٥٤هـ دخل هولاكو (*) بغداد فى زى تاجر أعجمي ، ومعه مائة حمل حرير ، واجتمع بالوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي ، وبأكابر الدولة ، وكانوا قادرين على مسكه، إلا أنهم خانوا الله ورسوله والمسلمين ، ثم خرج بعدما أتقن أمره معهم " . لكن يبدو أن نظام الكشافة هذا قد توقف فى بعض الأوقات التى شهدت هدوءاً نسبياً بين المغول والمماليك ، خاصة فى مجال التجسس ، ومن هذه الأوقات ، عهد السلطان أحمد تكودارخان . فقد جاء فى نص رسالة السلطان أحمد تكودار إلى السلطان الملك المنصور ـ والتي أراد من خلالها عقد مصالحة مع المماليك

=حراس الطرق المسلحون إلى جوار مراحات المحط ، للمحافظة على الأمن ، وليطهروا الطرق من الأعداء د/ الصياد : المغول في التاريخ . ص٣٦٣ .

(١) ابن كثير : البداية والنهاية . جـ١٤ ص٤٤ .

(٢) العيني : عقد الجمان . حوادث سنة ٦٨٠هـ . ص٢٧٩ .

(٣) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة . جـ٧ ص١٤٠ .

(٤) الذهبى : سير أعلام النبلاء . جـ١٦ ص٢٠٦ .

(٥) عقد الجمان . حوادث سنة ٦٥٤هـ . ص١٢١ .

(*) ذكر المقريزي أن الذي وصل بغداد ليس هولاكو نفسه ، بل جواسيس هولاكو وتحدثوا مع الوزير ابن العلقمي ، ووعدوا جماعة من أمراء بغداد بعده مواعيد. السلوك . جـ١ قسم ٢ ص٤٠٠ .

لإسلامه ـ إنه لا حاجة إلى الجواسيس ولا غيرهم بعد الاتفاق واجتماع الكلمة ... [١]

المقاتل المغولي والحرب النفسية

استخدم المقاتل المغولي السيوف والسهام والدروع الواقية وغيرها من الأسلحة فى حروبه مع أعداءه ، غير أن هناك سلاحاً آخر استخدمه بجداره وكان له قوة تفوق السيوف والسهام ، وهو سلاح الحرب النفسية . وقد نجحت المصادر العربية نجاحاً كبيراً فى تصوير هذا السلاح ، يقول بيبرس الدوادار عن ذلك إجمالاً [٢] : " كان اذا تحركت منهم الشرذمة القليلة ترتاع لها العساكر وتلتاع منها الأكابر " .

فقد كانت أعمال المغول الإرهابية تلقى الفزع فى نفوس سكان البلاد التى يزمعون الإغارة عليها [٣] . وكان للمغول أسلوبهم الخاص فى استخدام هذا السلاح ، فقد كانوا يرسلون بعض الرسائل الترهيبية إلى عدوهم كي يلقوا فى صدره الرعب والفزع منهم ، فقد جاء فى رسالة هولاكوخان إلى حاكم دمشق قبل احتلاله لها : أما بعد ؛ فنحن جنود الله ، بنا ينتقم ممن عتا وتجبر ، وطغى وتكبر ، وبأمر الله ما ائتمر ، إن عوتب تنمر ، وإن روجع استمر ، ونحن قد أهلكنا البلاد ، وأبدنا العباد ، وقتلنا النسوان والأولاد ، فيا أيها الباقون ، أنتم بمن مضى لاحقون ، ويا أيها الغافلون ، أنتم إليهم تساقون ونحن جيوش الهلكة ، لا جيوش الملكة ، مقصودنا الانتقام ، وملكنا لا يرام ونزيلنا لا يضام ، وعدلنا فى ملكنا قد اشتهر ، ومن سيوفنا أين المفر ... دمرنا البلاد ، وأيتمنا الأولاد ، وأهلكنا العباد ، وأذقناهم العذاب ... وقد أعذر من أنذر [٤] . وجاء أيضاً فى خطاب القائد المغولي [كتبغا] إلى الملك المظفر قطز : فخيولنا سوابق ، وسهامنا خوارق ، وسيوفنا صواعق ، وقلوبنا كالجبال وعددنا كالرمال ، فالحصون لدينا لا تمنع ، والعساكر لقتالنا لا تنفع ، ودعاؤكم علينا لا يُسمع ... فمن طلب حربنا ندم ، ومن قصد أماننا سلم . [٥]

وكان لهذه الرسائل وللأعمال والوحشية للمغول، أثر كبير فى نفوس أهالي المدن ، وأشد وقعاً من السيوف . يقول النسوي عن الحالة النفسية لأهل إقليم خراسان بعد انتشار الخراب على يد التتار [٦] : "

---

[١] ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات . جـ٧ ص٢٤٩ .
[٢] زبدة الفكرة : ص٢١٠ .
[٣] د/ الصياد : المغول فى التاريخ . ص٣٦٤ .
[٤] السيوطي : تاريخ الخلفاء . ص٤٧٤ .
[٥] المقريزي : السلوك . جـ١ قسم٢ ص٤٢٨ .
[٦] سيرة السلطان جلال الدين : ص١١٦ .

استولى الرعب على النفوس ، حتى إن الذى أسر كان أروح سراً من القاعد فـى بيـته ينتظـر الحادثـة " ، وكان لهذا السلاح الخطير أثره حتى على الجـيوش المقاتلـة مـن أعداءهم . ففي سنة ٦٢١هـ سارت التتار خلف الخوارزمـية ... فكسروهم وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ... وكانت هذه السرية ثلاثة آلاف ــ من التتار ــ والخوارزمية أضعاف أضعافهم ، ولكن الله تعالى ألقى عليهم الخذلان والفشل[١] على حد قول ابن كثير .

وقـد ساعد المغول على استخدام هذا السلاح ــ الحرب النفسية ــ أهالـي البلدان الإسلامية أنفسهم ، عندما كانوا ينقلون ــ عن غير قصد ــ أخبار الوحشية التى عليها المغول . يقول ابن الأثير عن ذلك [٢] : " سمعت مـن بعض أكابر الكرج قدم رسولاً ، أنه قال : من حدثكم أن التتر انهزموا وأسروا فلا تصدقوه ... فإن القوم لا يفرون أبداً ، ولقد أخذنا أسيراً منهم ، فألقى نفسه عن الدابة وضرب رأسه بالحجر إلى أن مات ، ولم يسلم نفسه للأسـر " . ويقـول فى موضع آخر [٣] : " ولقد بلغني أن إنساناً منهم أخذ رجـلاً ولم يكن مع التترى ما يقتله به ، فقال له : ضع رأسك على الأرض ولا تبرح فوضع رأسه على الأرض ومضى التترى فأحضر سيفاً وقتله بـه " .

وقـد أتى هذا السلاح بثماره المفيدة على التتار ، حيث أصبح حال أهـل البلدان لا يخلو من أمرين ، إما الاستسلام لهذا المقاتل ، وإما الفرار يقـول النويري عن الاستسلام التام [٤] : " إن رجلاً من التتار دخل دربا فيه ما يزيد على مائة رجل ، فقتلهم واحداً واحداً ، حتى أفناهم ولم يمد أحد يده إليه وقعت الذلة على الناس ، نعوذ بالله من الخذلان " . أما عن الهرب من هـذا المقاتل المغولي فيقول الذهبي عن ذلك [٥] : " فى آخر سنة ٦٥٧هـ اشـتدت الأراجـيف بحركة هولاكو إلى الشام ، وهرب الخلق " . ولاشك أن الاستـسلام أو الهرب قد حققا للمغول غايتهم ، فقد كفاهم ــ على الأقل ــ شر القتـال .

وعلى الرغم من أن المسلمين قد كسروا المغول بعد ذلك فى موقعة عين جالوت ، فقد استخدم المغول سلاح الحرب النفسية أيضاً مع المسلمين ، وكـان له وقعه فى نفوس الناس أيضاً ، ففي سنة ٦٦٠هـ حصل خوف شـديد من التتار فتجهز كثير من الناس إلى مصر [٦] ، وفى سنة ٦٧٢هـ

---

(١) البداية والنهاية : جـ١٣ ص١٠٣ .
(٢) الكامل فى التاريخ : جـ١٢ ص٣٨٤ .
(٣) المصدر السابق : جـ١٢ ص٥٠١ .
(٤) نهاية الأرب : جـ٢٧ ص٣١٥ .
(٥) العبر فى خبر من غبر : جـ٣ ص٢٨٥ .
(٦) ابن كثير : البداية والنهاية . جـ١٣ ص٢٣٥ .

قـويت أخـبار التتـر وجفـل الناس . [1] وعلى الرغم أن التتار دخلوا فى الإسـلام على عهد محمود غازان ـ وأصبح الإسلام هو الدين الرسمي لهم فـى العـراق وفارس ـ إلا أنهم استخدموا كذلك الحرب النفسية فى حربهم مـع الممالـيك ، فقد حاصر غازان قلعة دمشق سنة ٦٩٩هـ فأخذ نائبها بأنـواع التـرهيب والترغيب [2] ، بل ومارس مع حكام الشام عادة المغول القديمة بأن أرسل لهم بعض الرسائل الترهيبية ، التى جاء فى بعضها : إننا مـن أولاد جنكيزخان الأعظم الذى تحت حكمهم الأقاليم العظيمة فدخلنا فى هذا الدين القويم ... وإنا مسلمون ومعاونون دين الإسلام يجب على كل أحد مطاوعتـنا ... فإذا تشرفوا بمطالعه هذا التوقيع الشريف وامتثلوا مقاصده وفحواه فقد فازوا فوزاً عظيماً ، وإلا فقد خسروا خسراناً مبيناً، وعقاب ذلك سـفك الـدماء وغارة الأموال بوقوع الهرج والمرج ونحن براء من ذلك ، وقد أعذر من أنذر، والسلام على من اتبع الهدى . [3]

هـذا وقد قامت محاولات كثيرة من قبل حكام المسلمين وعلماءهم لإبطـال مفعول سلاح المغول الخطير هذا ـ الحرب النفسية ـ وحث الناس علـى عدم الخوف منهم ، ومواجهتهم بالجهاد ، وقد صور لنا هذا المشهد ابـن كثيـر بقـولـه [4] : " فى مستهل صفر سنة ٧٠٠هـ وردت الأخبار بقـصد التتر بلاد الشام ، وأنهم عازمون على دخول مصر ، فانزعج الناس لـذلك ، وازدادوا ضـعفا على ضعفهم ، وطاشت عقولهم وألبابهم ، وشرع الـناس فـى الهـرب إلى بلاد مصر والكرك والشوبك والحصون المنيعة ، فبلغت الحمارة إلى مصر خمسمائة ، وبيع الجمل بألف والحمار بخمسمائة ، وبيعت الأمتعة والثياب والمغلات بأرخص الأثمان ، وجلس الشيخ تقي الدين ابـن تيمية فى ثاني صفر بمجلسه فى الجامع وحرض الناس على القتال ، وسـاق لهـم الآيـات والأحاديث الواردة فى ذلك ، ونهى عن الإسراع فى الفرار ، ورغب فى إنفاق الأموال فى الذب عن المسلمين وبلادهم وأموالهم ، وأن مـا ينفق فى أجرة الهرب إذا أنفق فى سبيل الله كان خيراً ، وأوجب جهاد التتر حتماً فى هذه الكرة ، وتابع المجالس فى ذلك ، ونودي فى البلاد لا يـسافر أحد إلا بمرسوم وورقة ، فتوقف الناس عن السير وسكن جأشهم ، وتحـدث الـناس بخـروج السلطان من القاهرة بالعساكر ودقت البشائر لخروجـه " .

لاشـك أن المغول قد نجحوا نجاحاً كبيراً فى استخدام سلاح الحرب النفـسية مع أعداءهم ، وأكبر دليل على ذلك أن هذا النجاح لم يتوقف على استـسلام الأهالي لهم أو هربهم منهم فقط ، بل وصل إلى حد أن المسلمين

---

(١) ابن الوردى : تاريخ ابن الوردى . جـ٢ ص٢١٥ .
(٢) الدوادار : زبدة الفكرة . ص٣٦٠ .
(٣) المصدر السابق . ص٣٦٠ ـ ٣٦٥ .
(٤) البداية والنهاية : جـ١٤ ص١٤ .

عندما كانوا يحرزون بعض الانتصارات عليهم ، لم يكونوا يصدقون ذلك ـ خاصة من لم يشهد المعركة منهم كالعوام وغيرهم ـ يقول ابن كثير عن إحدى معارك التتر مع المسلمين سنة ٧٠٢هـ وموقف الناس من نتائجها[١] : "صارت كسرت التتار تقوى وتتزايد قليلاً قليلاً ، حتى اتضحت جملة ، ولكن الناس لما عندهم من شدة الخوف ، وكثرة التتار ، لا يصدقون " .

[١] البداية والنهاية : جـ١٤ ص٢٥ .

التدريب على القتال

لم يكن المقاتل المغولي يذهب إلى ساحات المعارك ، دون أن يكون لديه علم مسبق بخطر هذه المعارك وأهوالها ، فكان القائمون على شئونه يعملون على تدريبه ، على الطعن والنزال ، ولما كان من الواجب أن يكون هذا التدريب شبه فعلي وليس صورياً ، بأن يكون فيه طعن وسفك للدماء — كي يعيش هذا المقاتل جو المعركة الفعلي — فقد اختار القائمون على تدريبه [الصيد] كي يكون مجالاً لهذا التدريب ؛ لأنه ليس من المعقول أن يقع الطعن وسفك الدماء فيما بينهم ، بل فى قطعان الحيوانات .

كان — جنكيزخان — يصطاد فى السنة ثلاثة أشهر والباقي للحرب والحكم ... وكان يضرب حلقة — الصيد — ويكون ما بين طرفيها ثلاثة أشهر ثم تتضايق فيجتمع فيها مع أنواع الحيوانات شئ كثير لا يحد كثرة [1] يقول ابن فضل الله العمري [2] : " كان لجنكيزخان عادة مستمرة ، وإن كانت إلى الآن سارية فى الأولاد ، وهي وفور الرغبة في الصيد والأمر به والركوب إليه ، فى كل وقت يتفرغ فيه من القتال والمنازلة ، وربما اشتملت حركته على مسيرة ثلاثة أشهر ... ولم يكن غرض السلطان من ذلك مجرد الصيد خاصة ، وإنما مراده تمرين [*] عساكره ، واستمرار أوامره ، وإدمانهم على استعمال السلاح ، وسفك الدماء ، وتغلب القوة الغضبية والمضاهرة على الأرواح ... ومن عادتهم أنه متى خرج من قبل واحد منهم شئ من الصيود ، أدب بحسب ما تقدم من أمره ، بل ربما قتلوه ... وربما استشرف القان من مكان عال لينظر فروسية أولاده ، وقوة مراسهم ... " .

وكان قادة المغول يتدربون أيضاً على الفروسية والقتال ، في غير

---

(1) ابن كثير : البداية والنهاية . جـ١٣ ص١١٨ .

(2) مسالك الأبصار : السفر الثالث ص١١٠ .

(*) وقد أكد على هذا الأمر أيضا المصادر الفارسية . يقول الجويني : ليس الهدف هو الصيد وحسب ، بل الرياضة ورمي النبال ، وتحمل المشقات . تاريخ فاتح العالم . جـ١ ص٦٣ .

ميدان الصيد أيضاً ، فقد ذكر آنفاً أن أرغون خان بن أبغا كان يُصفُّ له ثلاثة أفراس ، ويقف إلى جانب أولها ويطير في الهواء ، ويركب الثالث . [١] هذا وكان المغول يتخذون من طريقتهم في الصيد هذه – نظام الحلقات – وسيلة من وسائل الحرب مع عدوهم ، من ذلك أن جنكيزخان بلغه عودة أولاد السلطان خوارزم شاه فوجه إليهم عسكراً كثيفاً ، وتقدم إلى خراسان من عساكره بالتفرقة على حافات تلك البرية مترصدين ، فضربوا على البرية حلقة ... فلم يرعهم – أي أبناء السلطان – إلا وخيول التتار قد أحدقت بهم إحداق الأطواق بالأعناق [٢] . ومارس التتار هذه الطريقة أيضاً مع جلال الدين منكبرتى – أقوى أبناء السلطان خوارزم شاه – يقول ابن العبري عن ذلك [٣] : " رحل جنكيزخان وراء جلال الدين حتى لحقه في أطراف السند ، فطاف به العسكر من قدامه ومن خلفه ، وداروا عليه دائرة وراء دائرة كالقوس الموتورة " . فقد كان من الخطط المتبعة في الجيش المغولي تطويق سائر قوات العدو والإحاطة به من جميع الجهات متخذين في ذلك نظام الحلقة التي اعتاد التتار نصبها للإيقاع بالوحوش . [٤]

استعراض الجيش [*] قبل القتال

من النظم التي كانت متبعة في جيش المغول ، أن القادة كانوا يستعرضون المقاتلين وأدواتهم الحربية والشخصية قبل ذهابهم إلى ساحات القتال ، فقد ألزم جنكيزخان القائم بعده بعرض العساكر وأسلحتهم إذا أرادوا الخروج إلى القتال وأنه يعرض كل ما سافر به عسكره وينظر حتى الإبرة والخيط فمن وجده قد قصر فى شئ مما يحتاج إليه عند عرضه إياه

---

[١] الذهبي : دول الإسلام . جـ٢ ص١٩٢ .

[٢] النويري : نهاية الأرب . جـ٢٧ ص٢٥٣ ــ ٢٥٤.

[٣] مختصر تاريخ الدول : ص٢٠٦ .

[٤] د/ العريني : المماليك . ص٢٥٦ .

[*] كان جنكيزخان يصدر أوامره إلى الجنود بحمل ما يحتاجون إليه من أسلحة وغذاء ، حتى الإبرة والخيوط ، كانوا يحضرونها لاستعمالها عند الحاجة . د/ الصياد : المغول فى التاريخ . ص٣٦٢

عاقبه[١] ، لكن كان من آدابهم أنهم إذا عرضوا آلات الحرب على أمرائهم وقفوا في العرض [٢] . وقد رتب جنكيزخان ابنه [أوكتاى] لما يتعلق بالعقل والرأي والتدبير ... وعرض الجيوش وتجهيزها . [٣] وقد حافظ أحفاد جنكيزخان على هذا النظام ــ عرض الجيش ــ من بعده ولم يكن قاصراً على عهده فقط . يقول المقريزي عن موقعة حمص سنة ٦٨٠هـ بين التتار والمسلمين [٤] : " أشرفت التتار في كرادبس ... ولم يعتدوا منذ عشرين سنة مثل هذه العدة ، ولا جمعوا مثل جمعهم هذا ، فإن أبغاخان عرض من سيره صحبه أخيه [منكوتمر] فكانوا خمسة وعشرين ألف فارس منتخبه " .

طرق المقاتل المغولي في ممارسة القتال

كان للمقاتل المغولي العديد من الطرق فى ممارسة القتال ، فعند لقاءه مع عدوه وجهاً لوجه ، كان يقاتل بشراسة وعنف ، غير أن جُلّ اعتماده كان مبنياً على الرمي بالسهام . يقول الذهبي عن إحدى لقاءات المسلمين بالتتار[٥]: " حمل الجيش الإسلامي حملة واحدة على التتار ، فترجّلوا ورموا بالنشاب وقاتلوا أشد قتال " .

وعندما كانت تشتد المعركة على المقاتل المغولي كان ينزل من على جواده ويقاتل مترجّلاً . يقول ابن تغرى بردى عن ذلك [٦] : "وكان الخوارزمي ــ جلال الدين ــ يقاتل التتار عشرة أيام بلياليها بعساكره يترجلون عن خيولهم ويلتقون بالسيوف ، ويبقى الرجل منهم يأكل ويبول وهو يقاتل " . على الرغم من أن هذه الرواية من قبيل المبالغة ؛ إلا أنها تؤكد على شدة وضراوة المقاتل المغولي فى ساحات القتال . وأكد على ذلك

---

(١) المقريزي : الخطط . جـ٢ ص٢٢١ .

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى . جـ٤ ص٣١٢ .

(٣) ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار . السفر الثالث ص١١١ ــ ١١٢ .

(٤) السلوك : جـ١ قسم ٣ ص٦٣٩ .

(٥) دول الإسلام : جـ٢ ص١٧٦ .

(٦) النجوم الزاهرة : جـ٦ ص٢٤٦ .

أيضاً ابن تغرى بردى فى موضع آخر فقال [١] : " ترجّل التتار عن خيولهم وقاتلوا قتال الموت فلم يغن عنهم ذلك شيئاً " .فقد كان المقاتل المغولي لا يمل من القتال كأنه جبل على ذلك يقول النويري [٢] : " قصد التتار الطالقان[*] فحاصروها مدة ستة أشهر يقاتلون أهلها ليلاً ونهاراً " [*] . يقول ابن الأثير عن إحدى لقاءات السلطان جلال الدين منكبرتى مع جنكيزخان – والتي تصور مدى عنف القتال وشدته [٣] : "اعترفوا كلهم أن كل ما مضى من الحروب كان لعباً بالنسبة إلى هذا القتال" كما صور لنا بيبرس الدوادار طريقة خروج المغول وهجومهم على أعداءهم بقوله [٤] : " أشرفت كراديس التتار متراكمة كالأمواج ، مترادفة كالبحر العجاج ، وأقبلوا ينسلون من الفجاج ، وهم كقطع الليل المظلم " .

إذا كانت هذه هي طريقة المقاتل المغولي في ممارسة القتال في ساحات المعارك ، فإنه سلك طرقاً أخرى في الحرب في غير هذه المواجهات المباشرة ، من أهمها ما يأتي :

١ – الإغارة

من الوسائل التي استخدمها المغول في الحرب ، أسلوب [الإغارة] – خاصة في المراحل الأولى من غزوهم لبلدان آسيا وأوروبا – وذلك بأن يغيروا على أي بلد من البلاد ، ثم ينهبون ويسلبون ، ثم يتركونها إلى بلد آخر فقد كان من عوائدهم المعهودة عنهم ، وقواعدهم المألوفة عنهم ، أنهم يخربون ويذهبون [٥] . من ذلك ، أن التتار بعد أن دمروا بخاري كروا

---

(١) النجوم الزاهرة : جـ٧ ص١٥١ .

(٢) نهاية الأرب : جـ٢٧ ص٣٢٤ .

(*) الطالقان : أكبر مدينة بطخارستان . الحموي : معجم البلدان جـ ٣ ص ٦.

(*) إذا التقى المغول أيضا جنود أعدائهم في أرض سهلة ، فإنهم يهاجمونهم ليلا ونهارا حتى ينهكوا قواهم ، وتكون النتيجة إما أن يستسلموا لهم ، وإما أن يلوذوا بالفرار .د/ الصياد : المغول في التاريخ . ص٣٦٥.

(٣) الكامل فى التاريخ : جـ١٢ ص٣٩٧ .

(٤) زبدة الفكرة : ص٢٠٨ .

(٥) المصدر السابق : ص٩٥ .

راجعين عنها قاصدين سمرقند [١] . وبعد رجوع التتر المغربة [*] من أذربيجان ، كانت خراسان يومئذ فوضى ليس بها ولاه إلا متغلبون من بعض أهلها ... فعمروها فبعث جنكيزخان عسكراً آخر من التتر إليها فنهبوها ثانياً وخربوها . [٢]

وفي سنة ٦٣٣هـ جاءت فرقة من التتار فكسرهم عسكر أربل فما بالوا وساقوا إلى بلاد الموصل فقتلوا وسبوا [٣] ، ثم رحلوا عنها [٤] وكانوا يتبعون أسلوب الإغارة بعد أن تلحق بهم الهزائم ، ربما يكون ذلك من باب تخفيف الخسائر . ففي محرم سنة ٦٥٩هـ اجتمع خلق من التتار نجوا من يوم عين جالوت فأغاروا على حلب . [٥] وقد اعتادوا على هذا الأمر حتى بعد أن استقروا في البلاد التي فتحوها ، فقد كان [صمغان] من أمراء التتر مقيماً ببلاد الروم وأميراً عليها فوقعت المراسلة بينه وبين الإفرنج في الإغارة على بلاد الشام ، فجاء صمغان في عسكرة لموعدهم فأغار على أحياء العرب بنواحي حلب ... ثم رجع التتر على أعقابهم . [٦]

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد ، بل ظلوا محافظين على أسلوب الإغارة حتى بعد أن اعتنق ملوكهم الإسلام ، ففي سنة ٧٠٠هـ عاد غازان وصحبته عساكره التتارية من الشام بعد أن عبروا الفرات ... وأقاموا يتنقلون فيها نحو ثلاثة أشهر ، ينهبون ويأسرون ، ثم رجعوا إلى بلادهم . [٧]

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية . جـ١٣ ص٨٣ .

(*) هذه الطائفة تسمى التتار المغربة ، لأنها سارت نحو غرب خراسان ، ليقع الفرق بينهم وبين غيرهم . النويري : نهاية الأرب . جـ٢٧ ص٣١١ .

(٢) ابن خلدون : العبر . جـ٥ ص١٢٤ .

(٣) ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب . جـ٥ ص١٥٩ .

(٤) المقريزي : السلوك . جـ١ قسم ١ ص٢٩٦ .

(٥) الذهبي : العبر . جـ٣ ص٢٩٣ .

(٦) ابن خلدون : العبر . جـ٥ ص٣٨٩ .

(٧) ابن حبيب : تذكرة النبيه . جـ١ ص٢٣٣ .

٢ ــ *الدروع البشرية*

كان من أهم الطرق التى سلكها المغول فى القتال – والتي تدل على طبيعتهم الوحشية–طريقة الدروع البشرية ، فقد كانوا يأخذون الأسارى من المسلمين فيقاتلون بهم ويحاصرون بهم ، وإن لم ينصحوا في القتال قتلوهم حيث كانوا يجعلونهم بين أيديهم ترساً يتقون بهم الرمي وغيره . [١] فقد كانت عادتهم إذا قاتلوا مدينة قدّموا من معهم من إساري المسلمين بين أيديهم يزحفون ويقاتلون [٢] ، فإن عادوا قتلوهم ، فكانوا يقاتلون كرهاً ، وهم المساكين ، كما قيل : كالأشقر إن تقدم ينحر وإن تأخرّ يُعقر ، وكانوا هم يقاتلون وراء المسلمين ، فيكون القتل في المسلمين الأسارى وهم بنجوة منه [٣] ، فإذا فتحوا البلد قتلوهم بعد ذلك وتعوضوهم بمن أسروه من البلد الآخر . [٣] وقد طبق المغول هذه العادة الذميمة بالفعل في ميادين القتال . يقول ابن الأثير عن غزو التتر لإقليم خراسان ومدنه [٤] : " كانوا يأخذون الرجال ليقاتلوا بهم من يمتنع عليهم " . ولما أراد جنكيزخان حصار [الطالقان] سار ومعه خلق كثير من الأسرى والمسلمين ، فأمرهم بمباشرة القتال وإلا قتلهم فقاتلوا [٥] وكان الأسرى يستخدمون أيضاً فى تخلص المغول ممن كان مختبئاً ومازال حياً من أهالي البلدان المنكوبة بغزو المغول يقول ابن الأثير عن ذلك[٦] : " كانوا يأخذون الأسارى ويقولون

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية . جـ١٣ ص٨٧ ــ ٩٠ .

(٢) كذلك كان هؤلاء الأسرى يكلفون بحفر الخنادق ، ونصب أدوات الحصار وما يراه المغول ضرورياً من الأعمال الحربية العنيفة الشاقة ، والأسرى المغلوبون على امرهم من جراء ذلك معرضون للأخطار الجسيمة ، دون أن يجدوا سبيلا للفرار إذ أن أعين المغول من ورائهم ساهرة عليهم ، حتى إذا ما أنهك الأسرى قوى أعدائهم ، يجيء دور المغول للإجهاز عليهم . د/ الصياد : المغول فى التاريخ ص٣٦٦ .

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ . جـ١٢ ص٣٧٧ .

(٣) النويري : نهاية الأرب . جـ٢٧ ص٣١٥ .

(٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ . جـ١٢ ص٣٩٠ .

(٥) نهاية الأرب : جـ٢٧ ص٣٢٥ .

(٦) الكامل فى التاريخ : جـ١٢ ص٣٧٨ .

لهم: نادوا في الدروب أن التتر قد رحلوا ، فإذا نادى أولئك خرج من اختفى فيؤخذ ويقتل " .

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد ، بل كان المغول يستخدمون هذه الدروع البشرية- الأسرى- في تدعيم سلاح الحرب النفسية الذى استخدموه بجدارة مع أعداءهم . من ذلك أنهم غزوا بخاري واستصحبوا معهم من سلم من أهلها الأسرى ورحلوا بهم إلى سمرقند وساقوهم مشاة على أقبح صورة وكل من أعيا وعجز عن المشي قتلوه ، فلما قاربوا سمرقند قدموا الخيالة وتركوا الرجالة والأسارى والأثقال وراءهم، حتى يلتحقوا بهم شيئاً فشيئاً ليرعبوا أهل البلد ، فلما رأى أهل سمرقند سوادهم استعظموهم ، فلما كان اليوم الثاني وصل الأسارى والرجالة والأثقال ومع كل عشرة من الاسارى علم فظن أهل البلد أن الجميع عسكر مقاتلة . [1]

٣ـ *أسلوب الكمين*

من الأساليب التي استخدمها المغول في القتال [أسلوب الكمين] وهو أن يقوموا بوضع مجموعة كبيرة ـ نحواً ما ـ من المقاتلين في مكان ما شريطة أن تكون في خفاء ، ثم يذهب الجيش الأساسي لقتال عدوهم ، ثم يخرج هذا الكمين فجأة على عدوهم فيصيبه بالصدمة التي تفقده السيطرة على نفسه ، فيعجل ذلك بهزيمته .

في غزو التتار لسمرقند كانوا قد كمنوا كميناً ، فلما جاوزه المسلمون خرج الكمين من ورائهم ، وحال بينهم وبين البلد ، وعطف عليهم التتار فصاروا فى وسط قوم أولهم وآخرهم السيف [2] . وفي سنة ٦١٨هـ التقى السلطان جلال الدين منكبرتى وجنكيزخان ، وولى جنكيزخان منهزماً وكادت الدائرة تدور عليه لولا كمين عشرة آلاف خرجوا على المسلمين فطحنت انميمنة وأسروا ولد السلطان جلال الدين [3] ، فقد أفرد جنكيزخان قبل اللقاء الكمين ، وفيه عشرة آلاف فارس من نخب رجاله

---

(١) ابن أبى الحديد : شرح نهج البلاغة . جـ٢ ص٣٦٥ .

(٢) النويرى : نهاية الأرب . جـ٢٧ ص٣١٠ .

(٣) ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب . جـ٥ ص٧٨ .

الملقبين بالهادرية [*] [١] . ويبدو أن أسلوب الكمين في القتال ، كان هو الغالب على حرب المغول مع جلال الدين منكبرتى . ففي سنة ٦٢٤هـ أيضاً التقى التتار مع جلال الدين ، وتباشر الناس بالنصر ، ثم كرت التتار مع كمينها وحملوا حملة واحدة كالسيل ... واشتد القتال وتداعى بنيان جيش جلال الدين . [٢]

٤ـ *أسلوب الاستدراج*

يعتبر [أسلوب الاستدراج] من الأساليب المكملة لأسلوب الكمين المذكور آنفاً . فقد كان المغول يحرصون على استدراج عدوهم إلى المكان الذي يختارونه للإيقاع به ، فيتظاهرون بالانسحاب من موضعهم حتى يطمع العدو فيهم ويسير فى أعقابهم ، حتى إذا اطمأن التتار إلى أن عدوهم ابتعد عن قواعده الأصلية أوقعه فى الكمين الذى نصبه له . [٣]

فمن ذلك أنهم أحاطوا بسمرقند وفيها خمسون ألفاً من الخوارزمية ومالا يحصى كثرة من عوام البلد فاحجم العسكر الخوارزمي عن الخروج إليهم وخرجت العامة بالسلاح ، فاطمعهم التتار في أنفسهم وقهقروا عنهم وقد كمنوا كمناء فلما جاوزوا الكمين خرج عليهم من ورائهم وشد عليهم من أمامهم جمهور التتار فقلتوهم عن آخرهم . [٤] ولما أراد التتار الهجوم على حلب سنة ٦٥٨هـ خرجت إليهم عساكر حلب ، فرآهم التتار فاندفعوا بين أيديهم مكراً منهم وخديعة ، فتبعهم عسكر حلب ساعة من نهار ، ثم كر التتار عليهم فولوا منهزمين إلى جهة البلد ـ حلب ـ والتتار في أثرهم . [٥]

---

[*] البهادرية : جمع مفردها بهادر وهي كلمة تركية معناها شجاع . النسوى : سيرة السلطان جلال الدين . ص١٥٨ حاشية رقم (٦) .

[١] المصدر السابق : نفس الصفحة .

[٢] الحنبلي : شذات الذهب . جـ٥ ص١١٣ .

[٣] د/ العريني : الممالك . ص٢٥٣ .

[٤] ابن أبى الحديد : شرح نهج البلاغة . جـ٢ ص٣٦٥ .

[٥] ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة . جـ٧ ص٧٠ .

ولم يتبع المقاتل المغولي أسلوب الاستدراج فى قتاله مع المسلمين فقط بل اتبعه مع غير المسلمين أيضاً . يقول ابن أبى الحديد عن ذلك [1] : " سارت طائفة منهم إلى بلاد الروس[*] وهي بلاد كثيرة عظيمة وأهلها نصارى وذلك فى سنة عشرين وستمائة ، فاجتمع الروس وقفجاق عن منعهم عن البلاد، فلما قاربهم التتار وعرفوا اجتماعهم ، رجعوا القهقرى إيهاماً للروس أن ذلك عن خوف وحذر، فجدوا في إتباعهم ولم يزل التتار راجعين وأولئك يقفون آثارهم أثنى عشر يوماً ثم رجعت التتار على الروس وقفجاق فأثخنوا فيهم قتلا وأسراً ولم يسلم منهم إلا القليل " .

٥ــ المباغتة [**]

المباغتة مبدأ من أهم مبادئ الحرب ، ومعناها ضرب العدو من مكان أو في زمان أو بأسلوب لا يتوقعه ، بحيث يمكن تحطيم قوى العدو المادية والمعنوية [2] . وقد طبق المغول مبدأ المباغتة في حربهم مع العدو ، وقد صور لنا ذلك ابن الأثير بقوله [3] : " أمر جنكيزخان طائفة التتار المغربة بالمسير فساروا وقصدوا موضعاً يسمى (بنج آب) ومعناه خمسة مياه ، فوصلوا إليه فلم يجدوا هناك سفينة ، فعملوا من الخشب مثل الأحواض الكبار وألبسوها جلود البقر لئلا يدخلها الماء ، ووضعوا فيها سلاحهم وأمتعتهم وألقوا الخيل في الماء ، وأمسكوا أذنابها ، وتلك الحياض التي من الخشب مشدودة إليهم ، فكان الفرس يجذب الرجل والرجل يجذب

---

(١) شرح نهج البلاغة : جـ٢ ص٣٦٨ .

(*) الروس : أمة من الأمم بلادهم متاخمة للصقالبة والترك ، ولهم لغة برأسها ودين وشريعة لا يشاركهم فيها أحد . الحموي : معجم البلدان جـ ٣ ص ٧٣.

(**) تكون المباغتة بالوقت والمكان والأسلوب ، فالمباغتة بالمكان أن تقوم بحركة من مكان لا يتوقعه العدو ، والمباغتة بالزمان أن تقوم بحركة فى وقت لا يتوقعه العدو والمباغتة بالأسلوب أن تقوم بالقتال بأسلوب جديد أو بسلاح جديد . محمود خطاب : الرسول القائد . ط ــ مكتبة الحياة ــ بيروت ــ لبنان ــ الطبعة الثانية سنة ١٩٦٠م . ص١٦٨ .

(٢) المرجع السابق : ص١٢١ .

(٣) الكامل فى التاريخ : جـ١٢ ص٣٦٩ .

الحوض المملوء من السلاح وغيره فعبروا كلهم دفعة واحدة ، فلم يشعر خوارزم شاه إلا وقد صاروا معه على أرض واحدة " فقد باغت المغول خوارزم شاه ــ في هذه الرواية ــ بالمكان والزمان ، وكذلك بالأسلوب .

ويعتبر الكتمان من جملة الوسائل المهمة التي تؤدي إلى المباغتة [١] . وقد اتبع المغول هذا الأمر أيضاً . ففي سنة ٦٤٧هـ قدم إلى بغداد طائفة من التتر على حين غفلة ، فقتلوا ونهبوا وجفل منهم الناس . [٢] لكن يبدو أن إتباع أسلوب المباغتة فى الحرب ، لم يكن معهوداً كثيراً لدى المقاتل المغولي ، فقد ذكرت بعض المصادر العربية ما يفيد ذلك. يقول اليونيني [٣] : " في هذه الأيام ــ سنة ٦٨٠هـ ــ ما برحت التتار تتقدم قليلاً قليلاً على خلاف عادتهم " ، وأكد هذا الأمر أيضاً ابن الفرات بقوله [٤] " في سنة ٦٨٠هـ قصد التتار بلاد الشام فجعل منكوتمر ومن معه من العساكر يتقدمون قليلاً قليلاً على خلاف عاداتهم " . فيبدو أن أسلوب المباغتة في الحرب كان طارئاً على المقاتل المغولي ولم يكن من عاداته الدائمة في الحرب ، وربما قد تعلمه جيداً ــ واستعمله في الرواية السالفة الذكر ــ عندما خالط غيره من مقاتلي الأمم التي غزاها .

٦ ــ *الانسحاب والفرار*

الانسحاب هو التملص من القتال بالحركة إلى الخلف انتظاراً لظروف مناسبة [٥] . كان الانسحاب من الأساليب التي استخدمها المقاتل المغولي في الحرب ، بأن كان يقي نفسه شر القتال ، عندما يجد أن مهام القتال التي أمامه أكبر من إمكانياته الحالية ، فيؤثر السلامة لحين إتيان الظروف المناسبة للمواجهة .

---

[١] محمود خطاب : الرسول القائد . ص٦١ حاشية رقم (١) .

[٢] المقريزي : السلوك . جـ١ قسم٢ ص٣٥٥ .

[٣] ذيل مرآة الزمان : جـ٤ ص٩٣ .

[٤] تاريخ ابن الفرات : جـ٧ ص٢١٤ .

[٥] محمود خطاب : الرسول القائد . ص٢٠٥ حاشية رقم (١) .

يقـول ابـن الأثيـر عـن ذلك [١] : " لما دخلت سنة ثماني عشرة وسـتمائة ساروا من ناحية الكرج ، لأنهم رأوا أن بين أيديهم شوكة قوية ، ومضايق تحتاج إلى قتال وصراع ، فعدلوا عنهم ، وهذه كانت عادتهم ، إذا قـصدوا مدينـة ، ورأوا عـندها امتناعاً عدلوا عنها " . ولم يكن انسحاب المقاتـل المغولي هذا مبنياً على ضعف منه ، بل على فكر يدل على ذكاء ؛ لأنه انسحاب متحرف لقتال ، أو متحيز لفئة .

هـذا وقد اتبع المقاتل المغولي أسلوب الانسحاب في القتال ، ليس قـبل بدء المعركة ـ كما ذكر آنفاً ـ ولكن أثناء المعركة أيضاً ، خاصة إذا مـا تعرض للهزيمة ، وذلك كي يخفف من وطأة الهزيمة وخسائرها ، وكان لـــه أسلوبه المعين والخاص في هذا الانسحاب بالذات ، بأن كان ينسحب تحـت سـتار ظلام الليل ، لكن بعد أن يوقد بعض النيران ، التى يخدع بها عدوه ، ويوهمه بأنه مازال مستقراً بأرض المعركة لم يفارقها بعد فى حين أنه قد لاذ بالفرار . ففي بداية لقاءات خوارزم شاه الحربية مع التتار التقى معهـم ، ولـم يحـرز أي من الفريقين نصراً حاسماً فافترقوا ونزل بعضهم مقابـل بعـض فلما أظلم الليل أوقد التتار نيرانهم وتركوها بحالها وساروا راجعـيـن إلـــى جنكيزخان . [٢] وفى سنة ٦٤٣هـ قصدت التتار بغداد وخـرجت عساكر بغداد للقائهم ، ولم يكن للتتر بهم طاقة [٣] . فاقتتلوا إلى أن حجـز اللـيل بين الفريقين ولم يصطدم الفيلقان ، وإنما كانت مناوشات وحمـلات خفـيفة لا تقتضي الاتصال والممازجة ورشق بالنشاب شديد فلما أظلـم الليل أوقد التتار نيراناً عظيمة وأوهموا أنهم مقيمون عندها وارتحلوا في الليل راجعين إلى جهة بلادهم فأصبح العسكر البغدادي فلم ير منهم عيناً ولا أثراً[٤]

هـذا ولم تكن طرق المقاتل المغولي في القتال ـ السالفة الذكر ـ هـي كل الطرق التي ذكرتها المصادر العربية ، بل كانت هناك طرق أخرى

---

[١] الكامل فى التاريخ : جـ١٢ ص٣٧٧ .

[٢] ابن أبى الحديد : شرح نهج البلاغة . جـ٢ ص٣٦٤ .

[٣] ابن أبى الفداء : المختصر . جـ٣ ص١٧٤ .

[٤] شرح نهج البلاغة : جـ٢ ص٣٧١ .

وإن كانت قليلة الاستخدام ، وكانت خاضعة لطبيعة الأحداث . مثل القبض على بعض الرهائن ذات الشأن للضغط بها على قادة العدو ، ففي سنة ٦٢٤هـ جاء الخبر إلى السلطان جلال الدين أن التتار قد قصدوا أصبهان(*) وبها أهله ، فسار إليها وتأهب للملتقى . (١) كما ذكرت بعض المصادر العربية ما يفيد أن قادتهم لم يكونوا يمارسون القتال ، إلا عندما يتعرض الجيش المغولي لهزيمة محققة . من ذلك قول ابن تغرى بردى (٢): "وأصيب مقدم العساكر التتارية كتبغانوين ، فإنه أيضاً لما عظم الخطب في عين جالوت ـ باشر القتال بنفسه فأخزاه الله تعالى وقتل شر قتلة ".

(*) أصبهان : مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها ... وهي من نواحي الجبل في آخر الإقليم الرابع . الحموي : معجم البلدان جـ ١ ص ٢٠٦ .

(١) الذهبي : العبر . جـ٣ ص١٩٢ .

(٢) النجوم الزاهرة : جـ٧ ص٧٣ .

طرق المقاتل المغولي في الحصار

الحصار هو الإحاطة بقرية أو بلد سواء كانت محصنة أم غير محصنة مدافعاً عنها أم غير مدافع ، وذلك لمنع الدخول أو الخروج منها حتى تضطر إلى التسليم [١] كان المقاتل المغولي على درجة كبيرة في فن حصار المدن والقلاع الحصينة ، وقد استغل في ذلك قدراته البدنية وأدوات الحصار المتعددة التي كان يمتلكها ، فلم تستعص عليه إلا القليل من المدن التي حاصرها . يقول النويري عن قدرته في ذلك [٢] : " لما آيس التتار المغربة من إدراك خوارزم شاه قصدوا بلاد مازندران [*] فملكوها في أسرع وقت مع حصانتها وصعوبة الدخول إليها وامتناع قلاعها " .

كان المقاتل المغولي له صبر طويل على حصار المدن مهما طالت مدة هذا الحصار ، فقد حاصر جنكيزخان قلعة بخاري عشرة أيام ، ثم وصل النقابون إلى سور القلعة ، فنقبوه ودخلوا القلعة فقتلوا كل من بها من الجند وغيرهم [٣] وكانت مدة الحصار تدوم أكثر من ذلك ، فقد أغار التتار على حلب وحصروها أربعة أشهر [٤] وحاصر التتار[الطالقان] لمدة ستة أشهر ولم يظفروا منها بشيء فكاتبوا جنكيزخان وأعلموه بالعجز عنها لحصانتها وكثرة من بها من المقاتلة فسار بنفسه ... وأقام عليها أربعة أشهر أخرى [٥] وكان المقاتل المغولي لا يمل من الحصار ولو دام إلى سنوات ، فقد كانت مدة مقامهم على [ميافارقين [*]] وحصارها سنتين . [٦]

كان غرض المغول من الحصار هو منع الدخول والخروج للمدن

---

(١) محمود خطاب : الرسول القائد . ص٢٠٠ حاشية رقم (١) .

(٢) نهاية الأرب : جـ٢٧ ص٣١٢ .

(*) مازندران : اسم لولاية طبرستان . الحموي : معجم البلدان جـ ٥ ص ٤١.

(٣) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة . جـ٢ ص٣٦٥ .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية . جـ١٣ ص٢٣٠ .

(٥) النويري : نهاية الأرب . جـ٢٧ ص٣٢٤ ــ ٣٢٥ .

(*) ميافارقين : أشهر مدينة بديار بكر . الحموي : معجم البلدان . جـ٥ ص ٢٣.

(٦) الدوادار : زبدة الفكرة . ص٧١ .

المحاصـــرة ، كي تضعف ويعجل بسقوطها ، من ذلك ، أن المغول رأوا أن مدينـــة ميافارقـــين لا يمكـــنهم أخذها بالقتال ، فأبطلوا القتال وحاصروها ، ومـــنعوا الناس من الدخول إليها والخروج عنها [١] كما كانوا يعملون على مـــنع الأقـــوات عـــن المدن المحاصرة من ذلك أنهم حاصروا حلب ــ عقب واقعـــة عـــين جالـــوت ــ فـــضيقوا عليها الأقوات [٢] وقد نجحوا في تنفيذ خطـــتهم هذه بالفعل وأتى الحصار بثماره . يقول ابن العبري عن استيلاءهم على ميافارقين [٣] :" ولولا أن وقع فيها الوباء والموت ، ومات السلطان ، وأكثـــر أهلهـــا لما أخذوها لا في سنتين ولا في ثلاثة " ، فقد استولى التتر على ميافارقين بعد حصار سنتين ، حتى فني أهلها وزادهم . [٤]

وكانت الطريقة المتبعة للمقاتل المغولي في حصار المدن هي نصب أدوات الحـــصار مثل المجانيق من كل ناحية [٥] وذلك كي يفتحوا على أهل المـــدن المحاصـــرة وجنودها أكثر من جبهة في القتال ، ليكون ذلك إضعافاً لهـــم . فقـــد زحفـــوا على مدينة [خوارزم] وحاصروها فامتنعت ، فملكوا جانبا منها ، ومازالوا يملكونها ناحية ناحية ، إلى أن استوعبوها . [٦]

وكـــان المغـــول يقومون بتركيب أدوات الحصار كالمنجنيق وغيره عـــند أســـوار المدن المحاصرة ، وذلك لتخفيف عبء نقلها عبر الصحراء والـــدروب الوعرة ، من ذلك أن التتار لما أرادوا حصار مدينة [نيسابور] وصـــلوا إلـــيها ونصبوا في نهارهم ذلك مائتي منجنيق مكملة الأسباب . [٧] وعـــندما دخل غازان دمشق سنة ٦٩٩هـ عصت عليه قلعتها فنصب عليها منجنـــيقا فـــى الجامـــع الأموي لقربه منها، فهجمت طائفة من القلعة على

---

(١) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول . ص٢٤٢ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية . جـــ١٣ ص٢٣٠ .

(٣) مختصر تاريخ الدول : ص٢٤٤ .

(٤) ابن الوردى : تاريخ ابن الوردى . جـــ٢ ص١٩٩ .

(٥) النويرى : نهاية الأرب . جـــ٢٧ ص٣٨٣ . بتصرف بسيط .

(٦) ابن خلدون : العبر . جـــ٥ ص١١٧ .

(٧) النسوى : سيرة السلطان جلال الدين . ص١١٨ .

الجامع فأفسدت المنجنيق[*] ، فأقام التتر منجنيقاً آخر بالجامع واحترزوا عليه . [1]

بعد أن كان المغول يقومون بنصب أدوات الحصار حول المدينة المحاصرة ، كانوا يقومون بالهجوم على هذه المدينة من خلال أدوات الحصار التى أقاموها ، خاصة المناجيق التى كانوا يدكون بها أسوار المدن والقلاع الحصينة برميها بأحجار المناجيق [**] من على بعد . عندما حاصر التتار قلعة دمشق سنة ٦٥٨هـ لما عصت عليهم نصبوا المجانيق على القلعة من غربيها وخربوا حيطاناً كثيرة وأخذوا حجارتها ورموا بها القلعة رمياً متواتراً كالمطر المتدارك ، فهدموا كثيراً من أعاليها وشرافاتها وتداعت للسقوط فأجابهم متوليها في آخر ذلك النهار للمصالحة . [2]

وكان المغول عندما لا يجدون حجارة يرمون بها أسوار المدن المحاصرة كان يعوضون ذلك بقطع صغيرة من الأشجار ، فى حجم أحجار المنجنيق . فعندما أراد التتار غزو مدينة [خوارزم] سنة ٦١٧هـ رأوا أن خوارزم وبلادها خالية من حجارة المجانيق ، فوجدوا هناك من أصول شجر ـ التوت غلاظ الجداول كبار الأصول ما يكفي ويفضل ، فأخذوا يقطعون منها قطعاً مدورة ، ثم ينقعونها فى الماء فتصير كالحجارة ثقلاً وصلابة ، فتعوضوا بها عن حجارة المجانيق . [3]

---

[*] كان افساد المنجنيق بقتل أهل القلعة للنجار الذي كان يصنع المنجنيق . ابن خلدون : العبر . جـ٥ ص٤١٤ .

[1] المقريزي : السلوك . جـ١ قسم ٣ ص٨٩٢ ـ ٨٩٣ بتصرف بسيط .

[**] يقول الزردكاش عن طريقة الرمي بالمنجنيق : " إذا أردت أن ترمي بعيداً ، فانك تضع الحجر فى المنجنيق ، وترمى به إلى مطلوبك ، فإن أردت أبعد منه ، فإنك تدهن فى الثانية إصبع المنجنيق بالزيت ، فإن رميت به وبلغت ما تطلب وأردت أبعد من ذلك ، فإنك تضع بين حلقة سواعد المقلاع وبين الإصبع الحديد قطعة من المشاق ـ قطعة ممشوقة من القماش ـ وترمى به ... " . الأنيق فى المناجيق : ص٢٢ ـ ٢٣ .

[2] ابن كثير : البداية والنهاية . جـ١٣ ص٢١٩ .

[3] النسوى : سيرة السلطان جلال الدين . ص١٧١ .

ومـــن الطرق الأخرى التي سلكها المغول في هجومهم على المدن والقلاع ، أنهم كانوا يحفرون حول المدينة المحاصرة خندقاً ويبنون سوراً ، فقـد أحاط التتار بقلعة [أستون آوند] ــ إحدى القلاع القريبة من الري ــ وبـنوا علـى عادتهم في حصار مثلها من القلاع حولها سوراً [١] . وعندما حاصـروا [ميافارقين] بنوا حولها سوراً وحفروا خندقاً عميقاً ، ثم نصبوا علـيها المنجنـيقات [٢] ، وعندما نزل هولاكو إلى حلب في ثاني صفر سنة ٦٥٨هـ ، لم يصبح عليها الصباح ، إلا وقد حفروا عليها خندقاً عمق قامة وعـرض أربعـة أذرع ، وبنوا حائطاً ارتفاع خمسة أذرع ... وشرعوا في نقب السور . [٣]

يتـضح من خلال الروايات السابقة ، السر في حفر المغول للخندق وبناء السور حول المدن المحاصرة ، وهو أن الخندق الذي كان بعمق قامة المقاتل ، كانوا ينفذون من خلاله إلى أسوار المدن المحاصرة ، ثم يقومون بنقـبها أمـا الـسور المبني ، فكان لحماية أنفسهم من ضربات جنود هذه القلاع والمـدن .

ويـبدو أنهم كانوا يمرون في الخنادق بعد أن يقومون بردمهـا ــ أي سـقفها بأشـياء عـدة ــ كي لا يتأذون بالمرور فيها من رماة القلاع والمدن . يقول ابن الأثير عن حصار المغول لقلعة بخاري [٤] : " إن الكفار ـــ يقـصد المغول ــ كانوا يأخذون المنابر وربعات [٥] القرآن فيلقونها فى الخـندق" ويقـول ابن العبري عن حصارهم لخوارزم [٥] : " ملأوا الخندق بالتراب والخشب والهشيم " .

---

(١) المصدر السابق : ص١٤٢ .

(٢) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول . ص٢٤٢ .

(٣) الحنبلي : شذرات الذهب . جـ٥ ص٢٩٠ .

(٤) الكامل فى التاريخ : جـ١٢ ص٣٦٦ .

(٥) ربعات : جمع مفردها ربعة ، وهو إناء مربع من جلد يجعل فيه الطيب وأدوات الـزينة ، وقـد تطلق الربعة ويراد بها القرآن الكريم المجزأ . دهمان : معجم الألفاظ التاريخية . ص٨١ .

(٥) مختصر تاريخ الدول : ص٢٠٥ .

ومن طرقهم في الحصار أيضاً أنهم كانوا يضعون سوراً أو تلاً من أشياء عدة يعلو فوق سور المدينة المحاصرة ، فيشرفون من خلاله عليها ـــ فقد حاصر التتار مدينة [شماخى] ، فجمعوا كثيراً من الجمال والبقر والغنم وغير ذلك ، ومن قتلى الناس منهم ومن غيرهم ، وألقوا بعضه فوق بعض ، فصار مثل التل ، وصعدوا عليه فأشرفوا على المدينة وقاتلوا أهلها. (١)

وعندما وصل التتار إلى الطالقان وهي ولاية تشتمل على عدة بلاد ، وفيها قلعة حصينة يقال لها [منصوركوه] لا ترام علواً وارتفاعاً ، وبها رجال يقاتلون ، شجعان ، فحصروها مدة ستة أشهر يقاتلون أهلها ليلاً ونهاراً ولا يظفرون منها بشيء ، فأرسلوا إلى جنكيزخان يعرفونه عجزهم عن ملك هذه القلعة ، لكثرة من فيها من المقاتلة ، ولامتناعها بحصانتها ، فسار بنفسه وبمن عنده من جموعه إليهم ، وحصرها ، ومعه خلق كثير من المسلمين أسرى ، فأمرهم بمباشرة القتال وإلا قتلهم ، فقاتلوا معه ، وأقام عليها أربعة أشهر أخرى فقتل من التتر عليها خلق كثير ، فلما رأى ملكهم ذلك أمر أن يجمع له من الحطب والأخشاب ما أمكن جمعه ، ففعلوا ذلك ، وصاروا يعملون صفاً من خشب ، وفوقه صفاً من تراب ، فلم يزالوا كذلك حتى صار تلاً عالياً يوازي القلعة ... ودخل التتر القلعة . (٢)

وذكر ابن كثير عدة طرق للمغول في الحصار كانت من ابتكارات القائد كتبغانوين قال عنها (٣) : " كان كتبغا هذا يعتمد في حروبه للمسلمين أشياء لم يسبقه أحد إليها ، كان إذا فتح بلداً ساق مقاتلة هذا البلد إلى البلد الآخر الذي يليه ، ويطلب من أهل ذلك البلد أن يؤوا هؤلاء إليهم ، فإن فعلوا حصل مقصوده في تضييق الأطعمة والأشربة عليهم ، فتقصر مدة الحصار عليه ، لما ضاق على أهل البلد من أقواتهم ، وإن امتنعوا من إيوائهم عندهم قاتلهم بأولئك المقاتلة الذين هم أهل البلد الذي فتحه قبل ذلك ، فإن حصل الفتح وإلا كان قد أضعف أولئك بهؤلاء حتى يفني تلك

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ . جـ١٢ ص٣٨٤ .
(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ . جـ١٢ ص٣٩٠ .
(٣) البداية والنهاية : جـ١٣ ص٢٢٦ ـ ٢٢٧ .

المقاتلة ، فإن حصل الفتح وإلا قاتلهم بجنده وأصحابه مع راحة أصحابه وتعب أهل البلد وضعفهم حتى يفتحهم سريعاً . وكان يبعث إلى الحصن يقول : إن ماءكم قد قل فنخشى أن نأخذكم عنوة فنقتلكم عن آخركم ونسبي نساءكم وأولادكم فما بقاؤكم بعد ذهاب مائكم ، فافتحوا صلحاً قبل أن نأخذكم قسراً ، فيقولون له : إن الماء عندنا كثير فلا نحتاج إلى ماء ، فيقول لا أصدق حتى أبعث من عندي من يشرف عليه فإن كان كثيراً انصرفت عنكم ، فيقولون : ابعث من يشرف عليه ، فيرسل رجالاً من جيشه معهم رماح مجوفة محشوة سماً فإذا دخلوا الحصن الذي قد أعياه ، ساطوا ذلك الماء بتلك الرماح على أنهم يفتشونه ويعرفون قدره ، فينفتح ذلك السم ويستقر في ذلك الماء فيكون سبب هلاكهم وهم لا يشعرون ، لعنه الله لعنة تدخل معه قبره " .

وذكر النسوى أيضاً طريقة أخرى للمغول في اقتحام القلاع والحصون ذكرها في حصار التتار لدار ركن الدين خورشاه ابن السلطان خوارزم شاه قال عنها [1] : " وجد التتار في بعض الجهات شقاً في السقف نبت فيه العشب من أسفله إلى أعلاه ، فاستعملوا من الحديد أوتاداً طوالاً ، ودقوها فيه ليلاً وكان إذا دقوا الواحد منها علاه الواحد منهم ودق فوقه آخر إلى أن صعد وأدلى الحبال وجذب الآخرين ، فأحاطوا بالدار " .

هذا والجدير بالذكر أن أسرى المسلمين لم يكونوا يستخدموا فى القتال كدروع بشرية فقط ، بل كان المغول يستخدمونهم فى أعمال الحصار أيضاً ، فاستعمل التتار أهل البلد ــ بخاري ــ في طم خندقها وكانت التتار يأتون بالمنابر والربعات فيطرحونها في الخندق يطمونه بها ففتحوها قسراً في عشرة أيام . [2] ولما سار التتار إلى مدينة مراغة [*] حاصررها ، فقاتلهم أهلها ، فنصبوا عليها المجانيق واستعانوا بأسرى المسلمين ...

---

(١) سيرة السلطان جلال الدين : ص١٤٢ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية . جـ١٣ ص٨٣ .

(*) مراغة : بلدة مشهورة عظيمة ، أعظم بلاد أذربيجان . الحموي : معجم البلدان جـ ٥ ص ٩٣ .

فأقامـــوا علـــيها عدة أيام وملكوها عنوه [1] . ومما يؤكد ذلك أيضاً أنه لما حاصـــر غازان قلعة دمشق سنة ٦٩٩هـ لزم الناس منازلهم لئلا يسخرون في طم الخندق . [2]

---

[1] النويري : نهاية الأرب . جـ٢٧ ص٣١٤ ـ ٣١٥ .

[2] البداية والنهاية : جـ١٤ ص٩ .

تمهيـــد

يلــزم الشرف العسكري المقاتلين باحترام العهود المقطوعة ، ويحرم اســتعمال الــسلاح الذى لا يتفق استعماله مع الشرف ، أو القيام بعمل من أعمــال الخــيانة ، ويجــب مواساة الجرحى والمرضى والعناية بهم وعدم الإجهاز عليهم ، وعدم التعرض لغير المقاتلين وللآمنين من السكان. [1]

لكــن من خــلال ممارسة المقاتل المغولي للحرب وسلوكه المتبع فــيها ، نجد أنه قد قلب هذا الشرف العسكري رأساً على عقب ، فقد رصدت لــنا المصادر العربية ــ وإن كان بطريق غير مباشر ــ العديد من الصفات التــى اتصف بها هذا المقاتل ، كان من أبرزها الوحشية ــ بكل معانيها ــ والغــدر ، كما أنصفته المصادر العربية ، ولم تتحامل عليه وذكرت له بعض الــصفات الحميدة مثل الطاعة وخفة الحركة . ولم تتوقف المصادر العربية عند ذلك بل صورت أيضاً خوفه وفراره ونهاية أسطورته الكاذبــة [بأنه لا يهزم ولا يفر ولا يؤسر] . وهذا ما سنتعرف عليه فى الصفحات الآتيــة .

---

[1] محمود خطاب : الرسول القائد . ص١٩ حاشية رقم (١) .

الوحشيـــة

كان للعوامل المؤثرة فى بناء شخصية المقاتل المغولي أثر كبير فى إكـسابه بعض الصفات السلبية ، التى اكتوت بنارها الشعوب التى غزاها . يقول الذهبي عن هذه الصفات فى أحداث سنة ٦٥٠هـ [١] : " قتلوا وسلبوا وعملوا عوائدهم " . ويقول ابن الأثير [٢] : " وعملوا الأعمال الشنيعة التى لـم يـسمع بمثلها من غيرهم " . كانت هذه الأعمال الشنيعة التى لم يسمع بمـثلها من غيرهم كما يقول ابن الأثير ـ آنفاً ـ نابعة من صفة قد تأصلت فـى المقاتـل المغولـي هـي [الوحشية] بكل معانيها ، حيث كان المقاتل المغولي يتعامل مع عدوه كأنه [حيـوان] من الغاب ، يفعل به ما يشاء ، مهمـا كان فعله هذا متوافقاً مع ما يعمل به حينذاك من مواثيق عسكرية أو غير متوافق . وقد تمثلت مظاهر الوحشية فى المقاتل المغولي فى الآتـي :

١ ـ الإبادة الجماعيـة

لـم يكـن المقاتـل المغولي يكتفى بتحقيق الانتصار على عدوه ، وانقياده لـه ، بل كان يقوم بعملية إبادة جماعية لعدوه عقب انتصاره عليه . يقـول الذهبي عن جنكيزخان [٣] : " وقتل المسلم [*] أهون عنده من قتل البـرغوث" ويقول السيوطي عن فكرة الإبادة الجماعية عند المقاتل المغولي [٤] : " وليس فى قتلهم استثناء ولا إبقاء ، يقتلون الرجال والنساء والأطفال ، وكأن قصدهم إفناء النوع ، وإبادة العالم ، لا قصد الملك والمال " . ويؤكد ذلك ابن الأثير أيضاً بقولـه [٥] : " أما الدجال ، فإنه يبقى على من اتبعه ،

---

(١) العبر فى خبر من غبر : جـ٣ ص٢٦٤ .

(٢) الكامل فى التاريخ : جـ١٢ ص٥٠١ .

(٣) سير أعلام النبلاء : جـ١٦ ص٢١٤ .

(*) فـى الحقيقة لم يكن قتل المسلم فقط أهون عند جنكيز من قتل البرغوث ، ولكن المـسلم وغيـر المسلم . فقد ذكر الذهبي نفسه أن التتار انتصروا على الروس فغسلوهم بالسيف . العبر : جـ٣ ص١٨٠ .

(٤) تاريخ الخلفاء : ص٤٦٧ .

(٥) الكامل فى التاريخ : جـ١٢ ص٣٥٩ .

ويهلك من خالفه ، وهؤلاء لم يبقوا على أحد ، بل قتلوا النساء والرجال والأطفال وشقوا بطون الحوامل وقتلوا الأجنة".

وعلى أرض الواقع ، قام المغول بفعل ذلك . فعندما ملكوا نيسابور أخرجوا أهلها إلى الصحراء فقتلوهم [١] . وعندما نزلوا أربل سنة ٦٣٤هـ أخذوها بالسيف حتى جافت المدينة بالقتلى [٢] . ولما استولوا على مدينة [خوارزم] لم يكتفوا ببسط سلطانهم العسكري والسياسي عليها ، بل قاموا بتقسيم من تبقى من رجالها على الجيش ليقتلوهم ، فكان نصيب كل واحد منهم أربعة وعشرين شخصاً . [٣]

وكان أكبر تصوير للمصادر العربية للإبادة الجماعية ، من قبل المقاتل المغولي لعدوه ، حينما دخل المغول بغداد . فقد كان الرجل يذبح كما تذبح الشاه ، واختلف الناس فى كمية من قتل ببغداد من المسلمين فى هذه الوقعة ، فقيل ثمانمائة ألف ، وقيل ألف ألف وثمانمائة ألف ، وقيل بلغت القتلى ألفى ألف نفس ، وكان دخولهم إلى بغداد فى أواخر المحرم ، ومازال السيف يقتل أهلها أربعين يوماً ، ولما انقضى الأمر المقدر وانقضت الأربعون يوماً بقيت بغداد خاوية على عروشها ليس بها أحد إلا الشاذ من الناس ، والقتلى فى الطرقات كأنها التلول ، وقد سقط عليهم المطر فتغيرت صورهم وأنتنت من جيفهم البلد ، وتغير الهواء فحصل بسببه الوباء الشديد ... ولما نودي ببغداد بالامان خرج من تحت الأرض ، من كان بالمطامير والقنى والمقابر كأنهم الموتى إذا نبشوا من قبورهم . [٤]

ولم تكن بغداد وحدة التى عمتها الإبادة الجماعية ، بل غيرها من المدن الإسلامية . يقول المكين بن العميد عن دخول التتار إلى حلب : " قيل إن ما قتل فى بغداد ولا فى مدينة من مدائن العجم مثلها وامتلأت الطرقات والأسواق من القتلى بحيث كانت عساكر التتار تمشي عليهم بخيولهم

---

(١) النويري : نهاية الأرب . جـ٢٧ ص٣٢٦ .

(٢) اليافعي : مرآة الجنان . جـ٤ ص٨٥ .

(٣) ابن العبري : مختصر تاريخ الدول . ص٢٠٥ .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية . جـ١٣ ص٢٠٣ بتصرف بسيط .

لكونهم لا يجدون موضعاً خال من مقتول . [١]

هذا ولم تكن الإبادة الجماعية قاصرة على البشر فقط ، بل على ما سواهم من المخلوقات ، فقد حدث أن سار جنكيزخان إلى باميان[*] فعصى أهلها وقاتلوا قتالاً شديداً واتفق أن أصيب بعض أولاد [جغاتاى] بسهم فجرح فقضى نحبه وكان من أحب أحفاد جنكيزخان إليه فعظمت المصيبة بذلك واضطرمت النيران فى قلوب المغول وجدوا فى القتال إلى أن فتحوها وقتلوا كل من فيها حتى الدواب والبقر والأجنة التى في بطون الحبالى أيضاً ولم يأسروا منها أحداً قط وتركوها أرضاً قفراً ولم يسكنها أحد إلى اليوم ــ زمن ابن العبرى ــ وسموها [ماوباليغ] أى قرية بؤس [٢] . ولما تسلم هولاكو [حارم [*]] قتل جميع من فيها من الناس والبهائم خنقاً ، وأخربها . [٣] غير أن هذه الإبادة الجماعية كان بها بعض الاستثناءات ، مثل أصحاب الحرف والصنائع وما عساهم أن يستفيدوا منه بعد ذلك . فمن ذلك أنه لما دخل التتار مدينة [خوارزم] أخرجوا الخلائق كافة إلى الصحراء ، وفرزوا الصناع والمحترفين إلى الناحية وكانوا مائة ألف [٤] . وعندما دخلوا بلاد الروم السلاجقة قتلوا الجند واستبقوا أرباب الصنائع وذوي المهن . [٥]

وكان من ضمن الاستثناءات أيضاً ، الأسرى الذين يستخدمونهم

---

(١) أخبار الأيوبيين : ص٤٩ .

(*) باميان:بلدة وكورة في الجبال بين بلخ وهراه وغزنة . الحموي: معجم البلدان جـ ١ص ٣٣٠ .

(٢) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول . ص٢٠٥ .

(*) حارم : حصن حصين وكورة جليلة تجاه أنطاكية . الحموي : معجم البلدان جـ ٢ ص ٢٠٥.

(٣) ابن شداد : الأعلاق الخطيرة فى ذكر أمراء الشام والجزيرة . تحقيق / يحيى زكريا عبارة ط ــ وزارة الثقافة ــ دمشق ــ سوريا سنة ١٩٩١م . جـ١ قسم ٢ ص٦٩ .

(٤) ابن العبري : مختصر تاريخ الدول . ص٢٠٥ .

(٥) النويري : نهاية الأرب . جـ٢٧ ص٣٤٩ .

كـــدروع بشرية فى حروبهم القادمة ، أو ما يمكن أن يستنفع به منهم ، من غير ذوي الحرف والصنائع . فعندما دخلوا مدينة [خوارزم] أسروا البنين والبنات والنساء اللواتي ينتفع بهن [١] . ولما فتح هولاكو حلب بذل السيف فـــى أهلهـــا ... وســـبي مـــن النـــساء والذراري زهاء مائة ألف نفس من الأشـــراف والأعيان ، وبيعوا إلى الجزائر الفرنجية ــ فى البحر المتوسط ــ والبلاد الأرمينية . [٢] هذا ولم يكف المغول عن عملية الإبادة الجماعية هذه فى الغالب إلا بعد أن اعتنقوا الإسلام ، فى عهد الخان محمود غازان ، فقد هـــزم التتار المسلمين سنة ٦٩٩هـــ وورد الخبر إلى دمشق أن ملك التتار غـــازان مـــسلم وأن غالـــب جيـــشه علـــى ملة الإسلام . وأنهم لم يتبعوا المنهـــزمين ، وبعـــد انفـــصال الـــواقعة لم يقتلوا أحداً ممن وجدوه ، وإنما يأخذون سلاحه ومركوبه ويطلقونه . [٣]

٢ ــ *التمثيل بالجثث*

ذكـــر آنفاً أن المغول كانوا يقومون بعملية إبادة جماعية لأعدائهم ، لكنهم لم يكتفوا بذلك ، بل كانوا يمثلون بجثث الموتى ، هذا فضلاً عن أكلهم للحـــوم أعـــدائهم ــ كما ذكر آنفاً ــ وهذا يدل على مدى الوحشية التى كان يتصف بها هذا المقاتل .

ففـــي ســـنة ٦٥٨هـــ استولى التتر على ميافارقين وقتلوا صاحبها الملـــك الكامـــل محمد بن شهاب الدين غازى ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب وحملوا رأسه على رمح وطيف به فى البلاد ... وطافوا به فى دمشق بالمغانـــي والطـــبول [٤] . وعلـــق رأسه على باب الفراديس ــ أحد أبواب دمـــشق ــ فلـــم يـــزل إلـــى أن عادت دمشق إلى المسلمين [٥] عقب عين جالوت.

---

[١] مختصر تاريخ الدول : ص٢٠٥ .

[٢] الدوادار : زبدة الفكرة . ص٧٥ .

[٣] ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة . جـــ٨ ص٩٩ .

[٤] أبى الفداء : المختصر . جـــ٣ ص٢٠٣ .

[٥] النويري : نهاية الأرب . جـــ٢٧ ص٣٨٤ .

يقول النويري عن قتل التتار لابني خوارزم شاة ــ أزلاغ شاه وآق شاه [١] ــ : " فاستشهد أزلاغ شاه وآق شاه ومن معهما وعاد التتار برأسيهما وقد نصبوهما على الرماح " .

ولم يكن التمثيل بالجثث قاصراً على الأمراء والقادة فقط ، بل تعداهم إلى ما سواهم من عامة الناس . يقول ابن الأثير عن ذلك [٢] : " لما قتل التتر أهل مرو قيل لهم : إن قتلاهم سلم منهم كثير ونجوا إلى بلاد الإسلام فأمروا بأهل نيسابور أن تقطع رؤوسهم لئلا يسلم من القتل أحد " . ويقول في موضع آخر [٣] : " إنهم كانوا يشقون بطون الحبالى [*] ، ويقتلون الأجنة ".

وكان المغول يتفننون في قتل من يقع في أيديهم من الملوك والأمراء ، ممن تسببوا في إيذائهم ، أو إبداء نوعاً من أنواع المقاومة لهم ، وكانوا يختارون لهم ميتة أبشع من التمثيل بالجثة بعد الموت ، إذ لا يضر الشاه سلخها بعد موتها . من ذلك أن جنكيزخان جاء إلى مدينة [أترار] فحاصرها ، وملكها غلابا ، وأسر أميرها [ينال خان] الذى قتل التجار [٤] ــ تجار جنكيزخان ــ فأمر بسبك الفضة وقلبها في أذنيه وعينيه ، فقتل تعذيباً [٥] وعندما جئ بالخلفية العباسي إلى هولاكو ــ عندما دخل بغداد ــ

---

(١) المصدر السابق جـ٢٧ ص٢٥٤ .

(٢) الكامل في التاريخ : جـ١٢ ص٣٩٣ .

(٣) المصدر السابق : جـ١٢ ص٣٨٣ .

(*) وضحت المصادر الفارسية سبب شق البطون برواية ذكرها الجويني يقول فيها : لما فتحوا مدينة [ترمذ] ساقوا السكان جميعا إلى السهول ، وقسموهم كعادتهم حيث قتلوا الجنود ، ولم يذروا منهم أحد ... ولمحوا امرأة . فقالت : أبقوا علىّ حتى أخرج لكم لؤلؤتي الكبيرة ، وأعطيكم إياها . وحين طالبوها بها قالت : لقد بلعتها ، فشقوا بطنها وأخرجوا من أحشائها حبات اللؤلؤ . ولهذا السبب أمر الخان بفتح بطون القتلى فلعلهم بلعوا شيئاً وهم أحياء . انظر تاريخ فاتح العالم جـ١ ص١٣٦ .

(٤) ابن خلدون : العبر . جـ٥ ص١١٢ .

(٥) النسوى : سيرة السلطان جلال الدين . ص٩١ .

أمـــر هولاكـــو أن يجعل فى جولق ويداس بأرجل الخيل ، ففعل به ذلك حتى مـــات ... فقـــد كـــان من عادة التتار أنهم لا يسفكون دماء الملوك والأكابر غالباً . (١)

٣ــ *الحرق*

مـــن مظاهر صفة الوحشية فى المقاتل المغولي ، أنه لم يكن يكتفى بالإبـــادة الجماعـــية لعـــدوه ، وكذلك التمثيل بجثته ، وأكل لحمها فى بعض الأحـــوال ، بـــل كـــان يقوم بإشعال الحرائق فى كل ما صادفه ، ولم يستطع حمله . يقول ابن الأثير عن ذلك (٢) : " كان العدو ــ يقصد التتار ــ يجوس الـــبلاد ، يأخـــذ مـــا أراد ويترك ما أراد ، على أنهم لم يبقوا على مدينةٍ إلا خربوا كل ما مروا عليه (*) ،وأحرقوه ، ونهبوه ، ومالا يصلح لهم أحرقوه ، فكانـــوا يجمعـــون الإبريسم ــ الحرير ــ تلالاً ويلقون فيه النار ، وكذلك غيره من الأمتعـــة" .

فقد كانوا يجمعون الحرير الكثير الذى يعجزون عن حمله فيطلقون فـــيه النار وهم ينظرون إليـــه ، ويخربون المنازل وما عجزوا عن تخريبه يحرقـــوه وأكثر ما يحرقون المساجد (*)والجوامع . (٣)يقول ابن شداد (٤) : " لمـــا اســـتولى التتر المخذولون على مدينة حلب يوم الأحد العاشر من صفر ســـنة ثمـــان وخمـــسون وستمائة دخل إلى الجامع صاحب سيس ــ الملك هيـــثوم ملـــك أرمينـــيةـ وقتل به خلقا كثيراً وأحرق الحائط القبلي منه ...

---

(١) النويري : نهاية الأرب . جـــ٢٧ ص٣٨٢ .

(٢) الكامل فى التاريخ : جـــ١٢ ص٣٧٧ .

(*) تذهب إحدى النظريات إلى أن جنكيزخان قرر ألا يترك أية مدينة سليمة ؛ حتى لا تـــصبح مأوى لأعدائه . إدواردز : جنكيزخان سيد المغول . الثقافة العالمية عدد ٨٣ ص٩١ .

(*) من المؤكد أن المساجد والمعابد قد أحرقت فى المدن التى حاصروها ، غير أنه لم يكن من سياسة المغول أن يعاقبوا الناس بسبب معتقداتهم . المرجع السابق . عدد٨٣ ص ٦٤ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية . جـــ١٣ ص٨٧ .

(٤) الأعلاق الخطيرة : جـــ١ قسم١ ص١١٦ .

واحتـرق سوق البزازين [**] ". كما كانوا يحرقون القصور والبساتين يقول ابـن كثيـر عن ذلك [1] : " فى سنة ٦٨٠هـ أقبلت التتار قليلاً قليلاً ، فلما وصـلوا حمـاة أحـرقوا بستان الملك وقصره وما هنالك من المساكن " . وعـندما دخـل التـتار بغـداد ، كان جمع من الناس يجتمعون فى الحانات ويغلقـون علـيهم الأبواب فيفتحها التتار إما بالكسر أو بالنار ، ثم يدخلون عليهم فيهربون منهم إلى أعالي المكان ، فيقتلونهم على الأسطحة . [2]

هـذا ولم يقتصر حرق المغـول لمتعلقات الأحياء وما ينفع الناس فقـط ، بل امتدت حرائقهم حتى للأموات . فعندما دخلوا مرو ، أحرقوا تربة الـسلطان سـنجر [*]، ونبـشوا القبـر طلباً للمال [3] . ومن ذلك أيضاً أن الـسلطان جـلال الدين نقل أباه من الجزيرة إلى قلعة [أزدهن] ودفنه بها ولما استولى التتر على القلعة المذكور نبشوه وأحرقوه وهذا كان فعلهم فى كل ملك عرفوا قبره ، فإنهم نبشوا محمود بن سبكتكين [**] في غزنة [***] وأحرقوا عظامه . [4]

[**] البـزازين : جمـع مفرده بزة ، وهو لفظ يطلق على الثياب من القطن والكتان وتاجـر القمـاش البزاز ، ويطلق أيضاً على السلاح . دهمان : معجم الألفاظ التاريخية . ص٣٤ .

[1] البداية والنهاية : جـ١٣ ص٢٩٥ .

[2] العيني : عقد الجمان حوادث سنة ٦٥٦هـ . ص١٧٤ .

[*] هـو السلطان سنجر بن السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي، صاحب خراسان وغزنة . توفي سنة ٥٥٢هـ ، ودفن في قبة بناها وسماها دار الآخرة . الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ١٥ ص ١٣٥ .

[3] ابن الأثير : الكامل . جـ١٢ ص٣٩٢ .

[**] هـو الملـك سلطان محمود بن سيد الأمراء وناصر الدولة سبكتكين التركي صاحب خراسان والهند مات بغزنة سنه ٤٢١هـ .الذهبي : سير أعلام البنلاء جـ ١٣ ص ٣١٢.

[***] غزنة : مدينة في طريق خراسان هي الحد الفاصل بين خراسان والهند : معجم البلدان جـ ٣ ص ٢٠١

[4] أبو الفداء : المختصر . جـ٣ ص١٥٠ .

٤ــ الهــدم

لقــد بلغت الوحشية من المقاتل المغولي غايتها ، فى أنه لم يكتف بالقــتل الجماعي والتمثيل بالجثث وبإشعال الحرائق ، حتى فى قبور الموتى ، بــل بهدمــه للقلاع والحصون والمنازل التى كان بإمكانه أن يستغلها فى التحــصن بها من غارات عدوه ، أو كمأوى وسكن له . فعندما دخل التتار قلعــة حلــب ، خربوا أسوارها وأسوار قلعتها وأبراجها وبقيت حلب كأنها حمار أجرب [١] . كما هدموا شراريف [*] قلعة دمشق ورؤوس أبراجها [٢]. ولما ملك هولاكو ماردين قتل أمراءها وخرب أسوار قلعتها [٣] . ولما أخذوا الموصــل سنة ٦٦٠هـ خربوا أسوارها . [٤] إذا كانت كل الروايات السابقة تــؤكد على أن تخريب المغول كان منصباً على أسوار وأبراج المدن والقلاع فقــط ، مما يدل على رغبتهم فى عدم استغلال عدوهم لها ، إذا ما تركوها بعــد ذلك ، فإنهم كان يخربون ماعدا ذلك من الأسوار والأبراج ، مثل آلات وعدد القتال ، التى يمكن أن يستفيدوا منها بالفعل ، ومع ذلك أتلفوها ، فقد دخــل التتار قلعة دمشق سنة ٦٥٨هـ فأتلفوا سائر ما كان فيها من الآلات والعدد . [٥]

ولــم يقتــصر هــدم المغول على الأسوار والقلاع فقط ، بل امتدت أيــديهم الهادمــة إلــى ســدود الأنهــار التى كانت تحمي البلدان من خطر الفيــضانات وتوفر لهم مصدر مائي دائم طوال العام ، فكانوا يستغلون هذه المياه فى زيادة تخريب وهدم المدن المنكوبة ، فقد فتحوا السكر ــ السد ــ الــذى يمــنع مــاء جيحون عن مدينة [خوارزم] فدخلها الماء فغرق البلد جميعه ، وتهدمت الأبنية وبقى موضعه ماء ، ولم يسلم من أهله أحد البتة ،

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية . جـ١٣ ص٢١٨ .

(*) الــشراريف : جمــع مفردها شرف وهو المكان المشرف على غيرها .معجم الألفاظ التاريخية : ص٩٧ .

(٢) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة . جـ٧ ص١٧١ .

(٣) المقريزي : السلوك . جـ١ قسم٢ ص٤٢٦ .

(٤) الحنبلي : شذرات الذهب . جـ٥ ص٣٠٠ .

(٥) السلوك : جـ١ قسم٢ ص٤٢٦ .

فـإن غيرها من البلاد قد كان يسلم بعض أهله ، منهم من يختفي ، ومنهم مـن يهـرب ، ومنهم من يخرج ثم يسلم ومنهم من يلقي نفسه بين القتلى فيـنجو ، وأمـا أهل [خوارزم] فمن اختفى من التتر غرقه الماء ، أو قتله الهدم ، فأصبحت خراباً يباباً . [١]

٥ـ *السلب والنهب*

مـن مظاهـر الوحشية التى اتصف بها المقاتل المغولي ، أنه كان يحدث الفوضى والاضطراب فى المدن التى غزاها ، وسقطت فى يده ، وذلك عـن طريق السلب والنهب واستباحه المدن بحثاً عن الأموال والغنائم بشتى الطـرق . يقول ابن كثير عن ذلك [٢] : " وبالجملة فلم يدخلوا بلداً إلا قتلوا جميع من فيه ... وأتلفوا ما فيه بالنهب إن احتاجوا إليه ، وبالحريق إن لم يحـتاجوا إلـيـه " . ويقول ابن الأثير عن دخولهم سمرقند [٣] : " لما كان الـيوم الرابع ـ من حصار التتار لسمرقند ـ نادوا فى البلد أن يخرج أهله جميعهم ومن تأخر قتلوه ، فخرج جميع الرجال والنساء والصبيان ، ففعلوا مع أهل سمرقند مثل فعلهم مع أهل بخارى من النهب ، والقتل ، والسبي ، والفـساد .. وقـتلوا مـن لـم يصلح للسبي " . ويقول أيضا عن دخولهم نيسابور [٤] : " وأقام التتر خمسة عشر يوماً بنيسابور يخربون ، ويفتشون المنازل عن الأموال " . ويقول بيبرس الدوادار عن سلبهم ونهبهم فى بغداد [٥] : " سـبوا كـل مـا حـواه قصره ـ أي الخليفة ـ من نسائه وبناته وانتهكوا ذلك الحرم وأخرقوا حرمة الأدر والحرمات على الجواري والخدم ، واسـتولى العدو على ذخائر الخلافة وخزائنها وأموالها وجواهرها . ونهب مـن مدينـة بغـداد وما حوته من الأموال العظيمة والجواهر القيمة .. ما يتجاوز الإحصاء".

---

[١] ابن الأثير : الكامل . جـ١٢ ص٣٩٤ ـ ٣٩٥ .

[٢] البداية والنهاية : جـ١٣ ص٨٧ .

[٣] الكامل فى التاريخ : جـ١٢ ص٣٦٨ .

[٤] الكامل فى التاريخ: جـ١٢ ص٣٩٣ .

[٥] زبدة الفكرة : ص٦٧ .

٦ ــ *الاغتصاب*

لم ينس المقاتل المغولي فى ظل الأهوال والمجازر التى كان يرتكبها والمناظر البشعة التى كان يراها ، أن يشبع غريزته ، فقام بارتكاب جريمة أخرى فى حق سكان البلدان المنكوبة ، وهي جريمة الاغتصاب ، التى أكد بها على قسوته ووحشيته . يقول ابن الأثير فى تصوير ذلك [١] : " كانوا يفجرون بالمرأة ثم يقتلونها " .

ولم يكتفوا بالاغتصاب ثم القتل ، بل كانوا يفعلون ذلك أمام أهالي المغتصبات . يقول ابن كثير عن ذلك [٢] : " أسروا الذرية والنساء وفعلوا معهن الفواحش بحضرة أهليهن " . وكان هذا المشهد فى مدينة بخارى الإسلامية .وقد وضح هذه الصورة أكثر ابن الأثير الذى يقول عن احتلالهم لها [٣] : " ارتكبوا من النساء العظيم ، والناس ينظرون ويبكون ، ولا يستطيعون أن يدفعوا عن أنفسهم شيئاً مما نزل بهم ، فمنهم من لم يرض بذلك واختار الموت على ذلك ، فقاتل حتى قُتل ... ومن استسلم أخذ أسيرا " .

٧ ــ *تدمير دور العلم والمؤلفات العلمية*

إن أكبر دليل على وحشية المقاتل المغولي وهمجيته ــ خاصة عندما خرج من موطنه الأصلي ، وقبل أن يستقر فى البلدان المفتوحة ، ويتأدب بآداب أصحابها ــ هو إتلافه وتدميره لدور العلم وللمؤلفات العلمية ، التى كان باستطاعته أن يستفيد منها ، أو على الأقل ، لن تمثل له أى خطر ، إذا ما أبقى عليها ، لكنه تفنن فى تدميرها ، كما تفنن من قبل ، فى إبادة أعداءه ومخالفيه من بني الإنسان .

عندما دخل التتار بخارى ألقوا النار فى دورها ومدارسها ومساجدها فاحترقت [٤] . وفى سنة ٦٧٩هـ وصلت طائفة عظيمة من عساكر التتار إلى حلب ، فأحرقوا الجامع والمدارس المعتبرة ، ودار

---

(١) الكامل فى التاريخ : جـ١٢ ص٣٨٣ .

(٢) البداية والنهاية : جـ١٣ ص٨٣ .

(٣) الكامل فى التاريخ : جـ١٢ ص٣٦٧ .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية . جـ١٣ ص٨٣ .

السلطنة ودور الأمراء الكبار وأفسدوا إفساداً كبيراً ... وأقاموا بحلب يومين على هذه الصورة [١] . وزاد المغول على ذلك بقتلهم للعلماء أيضاً . يقول ابن الوردى عن ذلك [٢] : " دخلوا خوارزم وقتلوا أهل تلك البلاد والعلماء والصلحاء والعباد والزهاد وخربوا الجوامع وأحرقوا المصاحف " . بل وبلغ بهم الأمر أنهم كانوا يبيعون الكتب والمؤلفات بأبخس الأثمان إذا ما عدلوا عن إتلافها . فعندما دخل هولاكو حلب خرب أسوارها وأحرق زردخاناتها [*] ، وبيعت الكتب التى بدار السلطنة بقلعة حلب بأبخس الأثمان . [٣]

غير أن أكبر جريمة وحشية ارتكبوها فى حق الإنسانية جميعاً هي حرقهم لمكتبات بغداد قبله العلم والعلماء للدنيا فى ذلك الوقت . يقول ابن تغرى بردى عن ذلك [٤] : " وأحرقت كتب العلم التى كانت بها من سائر العلوم والفنون التى ما كانت فى الدنيا مثلها قيل : إنهم بنوا بها جسراً من الطين والماء عوضا عن الآجر " .

---

(١) اليونيني : ذيل مرآة الزمان . جـ٤ ص٤٥ .

(٢) تاريخ ابن الوردى : جـ٢ ص١٣٨ .

(*) الزردخاناه : دار السلاح ، وهي كلمة فارسية مركبة ، وهي تشتمل على أنواع السلاح من السيوف والقسى العربية والنشاب والرماح ... وغير ذلك من أنواع السلاح . البقلى : التعريف بمصطلحات صبح الأعشى . ص١٦٩ .

(٣) العيني : عقد الجمان . حوادث سنة ٦٥٨هـ . ص٢٤٠ .

(٤) النجوم الزاهرة : جـ٧ ص٤٨ .

الغـــدر

مـــن الـــصفات التـــى اتـــصف بها المقاتل المغولي ، والتى جاءت مخالفـــة للشرف العسكري ، الذى يدعو بدوره إلى المحافظة على المواثيق والعهـــود المبـــرمة بـــين طرفي الحرب ، صفة الغدر . فبعد أن كان الأمان يعطـــي لسكان البلدان المحاصرة ، ويسلموا أنفسهم وأسلحتهم بالفعل ، كان يغدر بهم ، وتمارس فيهم الوحشية ــ السالفة الذكر ــ بكل صورها .

يقـــول ابـــن وصل عن حصار المغول لسمرقند [١] : " وصل التتر إلـــى ســـمرقند سنة ٦١٦هـــ فقالوا لأهلها : ادفعوا إلينا سلاحكم وأموالكم ونحـــن نسيركم إلى مأمنكم ، ففعلوا ذلك ، فلما أخذوا ذلك منهم قتلوهم عن آخرهم " .

وســـير جنكيزخان جيشاً عظيماً مع أحد أولاده إلى مدينة مرو وبها مائتا ألف من المسلمين فكانت بين التتار وبينهم حروب عظيمة شديدة صبر فـــيها المـــسلمون ثم انهزموا ودخلوا البلد وأغلقوا أبوابهم فحاصره التتار حصاراً طويلاً ثم أمنوا متقدم البلد فلما خرج إليهم فى الأمان خلع عليه ابن جنكيـــزخان وأكـــرمه وعاهـــده لا يتعـــرض لأحـــد مـــن أهـــل مرو ففتح الـــناس الأبواب فلما تمكنوا منهم استعرضوهم بالسيف عن آخرهم فلم يبقوا منهم باقيـــة .[٢]

وقصد التتار مدينة [أسعرد] فقاتلهم أهلها ، فبذل لهم التتر الأمان فوثقـــوا مـــنهم واستـــسلموا ، فلمـــا تمكن التتر منهم وضعوا فيهم السيف وقتلوهم حتى كادوا يأتون عليهم ، فلم يسلم منهم إلا من اختفى ، وقليل ما هـــم [٣] ، وحاصـــر التتار حلب سبعة أيام ثم افتتحوها بالأمان ، ثم غدروا بأهلهـــا وقـــتلوا مـــنهم خلقا لا يعلمهم إلا الله عز وجل [٤] . هذا إلى جانب

---

[١] مفرج الكروب : جـــ٤ ص٤٤ .

[٢] ابن أبى الحديد : شرح نهج البلاغة . جـــ٢ ص٣٦٨ .

[٣] ابن الأثير : الكامل . جـــ١٢ ص٤٩٩ .

[٤] ابن كثير : البداية والنهاية . جـــ١٣ ص٢١٨ .

غيـرها مـن الـروايات (*) التـى تؤكد على تأصل صفة الغدر فى المقاتل المغولي ، وبأنه لا أمان لـه ولا عهد . فقد كان المقاتل المغولي يبحث عن تحقـيق غايـته بكـل الوسـائل ، مهما تنافت هذه الوسائل مع الأخلاقيات والمبادئ .

(*) انظر على سبيل المثال أيضـا . ابن أبى الحديد : شرح نهج البلاغـة . جـ٢ ص٣٦٨ .

صفات المقاتل المغولي الحميدة

بلغ من اعتدال المصادر العربية فى رسم صورة المقاتل المغولي ، أنها لم تصور لنا وحشية هذا المقاتل بصورها المختلفة ، ولم تصور غدره بمستأمنيه بل صورت لنا صفاته الحميدة أيضاً ، على الرغم أن المنطقة الإسلامية والعربية كانت من أكبر المناطق تضرراً من وحشية هذا المقاتل ، وكان من المتوقع أن تتحامل عليه ، أو تجامله مثل المصادر الفارسية ، لكن المصادر العربية ذكرت ما له وما عليه فى نفس الوقت ، فرسمت الصورة الحقيقية لهذا المقاتل .

يقول ابن كثير [١] : " فى سنة ٦١٦هـ عبرت التتار نهر جيحون صحبه ملكهم جنكيزخان ... وهم من أشجع التتار ، وأصبرهم على القتال.ويقول ابن الوردى عنهم أيضاً [٢] : " فى سنة ٦٧٥هـ سار السلطان الظاهر بيبرس إلى إبلستين فوصلها فى ذى الحجة وبها جمع هم نقاوة المغول " .. ويقول القلقشندي عن مقاتلي مملكة ما وراء النهر التترية [٣] : " أما عساكرهم فذكر أن عساكر هم من أهل النجدة والبأس لا يجحد ذلك من طوائف الترك جاحد ، ولا يخالف فيه مخالف " . كما كانت المصادر العربية تذكر الصفات الحسنة لقادتهم من ذلك قول ابن الفرات فى ترجمة أبغا بن هولاكو [٤] : " كان ملكاً عالي الهمة شجاعاً مقداماً دربا بالحروب "

هذا ومن أهم صفات المقاتل المغولي الحميدة ، والتى صورتها المصادر العربية ما يأتي :

١ ـ الطاعة التامة

كان من آدابهم الطاعة للسلطان غاية الاستطاعة [٥] . فهم من

---

(١) البداية والنهاية : جـ١٣ ص٨٢ .
(٢) تاريخ ابن الوردى : جـ٢ ص٢١٧ .
(٣) صبح الأعشى : جـ٤ ص٤٥٠ .
(٤) تاريخ ابن الفرات : جـ٧ ص٢٣٤ .
(٥) ابن كثير : البداية والنهاية . جـ١٣ ص١١٩ .

أعظم الأمم طاعة لسلاطينهم ، لا لمال ولا لجاه ، بل ذلك دأب لهم . [١] فإذا كان أمير في غاية القوة والعظمة وبينه وبين السلطان كما بين المشرق والمغرب ، حتى أذنب ذنباً يوجب عقوبة ، بعث إليه ولو مع أخس أصحابه من يؤدبه بموجب ما يقتضيه ذنبه ، ولو كان من ذنبه ما يوجب قتله ألقى نفسه بين يديه ذليلاً ، وأخذه الرسول بموجب جرمه حقيراً كان أو جليلاً . [٢] يقول اليونيني عن أبغا بن هولاكو [٣] : " كان ملكاً عظيماً ... خبيراً بالحروب ... وعساكره جمه ... وكلمته في جنده مع كثرتهم مسموعة " وكانوا يطيعون ملوكهم حتى ولو غيروا دينهم . ففي سنة ٦٩٤هـ أسلم غازان ملك التتار ، وأسلم غالب جنده وعساكره [٤] وكانوا يطيعون قادتهم بالطبع في ساحات المعارك ، حتى ولو كانت هذه الطاعة ستكون سبباً في هزيمتهم جميعاً . ففي لقاء المسلمين والتتر سنة ٦٨٠هـ كان قائد التتار منكوتمر بن هولاكو ، ففي أثناء المعركة نزل عن فرسه ونظر من تحت أقدام الخيل فرأى الأثقال والدواب فاعتقد أنها عساكر ، ونهض يركب ، فتقنطر به الحصان ورماه إلى الأرض ، فترجّل التتر كلهم لأجله وأخذوه وحملوه ، فلما رآهم المسلمين قد ترجلوا حملوا عليهم حملة رجل واحد كان النصر في تلك الحملة . [٥]

٢ ـ *خفة الحركة*

من الصفات الجيدة التي كان يتحلى بها المقاتل المغولي ـ والتي جاءت بالطبع وبالاً على أعداءه ـ خفة الحركة وسرعته في الانقضاض على عدوه ، كما اعتاد من قبل ـ أثناء تدريبه ـ الانقضاض على فريسته في الصيد . يقول ابن كثير عن سرعتهم عموماً في احتلال البلاد الإسلامية وغيرها [٦] : " في هذه السنة ـ ٦١٧هـ ـ عم البلاء وعظم العزاء

---

(١) القلقشندي : صبح الأعشى . جـ٤ ص٣١٢ .

(٢) ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار . السفر الثالث . ص١٠٩ .

(٣) ذيل مرآة الزمان : جـ٤ ص١٠٠ ـ ١٠١ .

(٤) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة . جـ٨ ص٦٠ .

(٥) تاريخ ابن الفرات : جـ٧ ص٢١٧ .

(٦) البداية والنهاية : جـ١٣ ص٨٦ .

بجنكيزخان ومن معه من التتار ، واستفحل أمرهم ... من أقصى بلاد الصين إلى أن وصلوا إلى بلاد العراق وما حولها حتى انتهوا إلى أربل وأعمالها ، فملكوا فى سنة واحدة ــ وهي هذه السنة ــ سائر الممالك . إلا العراق والجزيرة والشام ومصر " . يقول الذهبي عن سرعتهم وخفة حركتهم فى حربهم مع السلطان خوارزم شاة [١] : " ظهر بخروج التتار الضمغاجية عسكر جنكيزخان ، واندفع قدامهم ... فما وصل إلى الرى إلا وطلائعهم على رأسه ... فأدركوه وما تركوه يبلع ريقه ، فتحامل إلى همذان ثم إلى مازندران وقعقعة سلاحهم قد ملأت مسامعه " . بل إن الذهبي وصفهم بهذا صراحة فقال [٢] : " هم سريعو الحركة " . وأكد ذلك ابن الأثير بقوله [٣] : " فعلوا هذا فى أسرع زمان ، لم يلبثوا إلا بمقدار مسيرهم لا غير " .

أما عن خفة حركتهم بعد هزيمة خوارزم شاة . فإن جنكيزخان قال لهم : اطلبوا خوارزم شاة [٤] أين كان ، ولو تعلق بالسماء حتى تدركوه وتأخذوه [٤] . فعندما أمرهم بذلك ، كانوا لا يتعرضون فى مسيرهم لشيء لا بنهب ولا قتل ، بل يجدون السير فى طلبه لا يمهلونه حتى يجمع لهم .. فكان كلما رحل عن منزلة نزلوها [٥] وفعلوا نفس الشيء مع ابنه جلال الدين يقول النويري عن ذلك [٦] : " والتتار تتبعه ــ أي جلال الدين ــ مجدة فى السير خلفه " ، فسار جنكيزخان بنفسه نحوه ليلاً ونهاراً بحيث أن

---

(١) العبر فى خبر من غبر : جـ٣ ص١٧٥ .

(٢) سير أعلام النبلاء : جـ١٦ ص٢٠٣ .

(٣) الكامل فى التاريخ : جـ١٢ ص٣٦٠ .

(٤) الطلب أو المطاردة تعبير عسكري يقصد به تعقب القوات المعادية ، المنسحبة لإحداث خسائر فيها ومحاولة قلب انسحابها إلى هزيمة . محمود خطاب : الرسول القائد . ص١٢٠ حاشية رقم (١) .

(٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ . جـ١٢ ص٣٦٩ .

(٦) المصدر السابق : جـ١٢ ص٣٧٠ .

(٦) نهاية الأرب : جـ٢٧ ص٢٩٦ .

المغول لم يتمكنوا من طبخ لحم إذا نزلوا . [١]

٣ــ انتهاز الفرص

مــن الصفات التى اتصف بها المقاتل المغولي ــ وإن جاءت أيضاً وبالاً على رأس أعداءه ــ انتهازه للفرص واستغلال نقاط الضعف فى عدوه والانقــضاض عليه فى الوقت المناسب ، إذا سمحت له الظروف بذلك . من ذلــك ، أنه لما هجم التتار على همذان ، عزموا على الرحيل لكثرة من قتل مــنهم ، فلمــا تقاصــر أهل البلد عن الخروج إليهم طمعوا واستدلوا على ضــعفهم فقصدوهم وقاتلوهم ، ودخلوا المدينة بالسيف ، سنة ٦١٨هـ [٢] وفــى ســنة ٦٢٨هـ علمت التتار بضعف جلال الدين خوارزم شاة فبادروا لقتاله ، فلم يقدم على لقائهم . [٣] وفى سنة ٦٧٩هـ سمعت التتار بتفريق كلمــة المــسلمين ، فانجفل الناس من بين أيديهم فى سائر البلاد إلى الشام ... ثم جاءت الكتب برجوع التتار من حلب إلى بلادهم ، وذلك لما بلغهم من اتفاق كلمة المسلمين . [٤]

٤ــ المشورة فى الرأي

علــى الرغم من الطاعة التامة من المقاتل المغولي لقادته ، إلا أن هــذه الطاعــة لــم تكن عمياء ، بل كانت تتخللها المشورة فى الرأي ، بين المقاتل وقادته ، وبين القادة والملوك . فلم يكن المغول يغزون أي إقليم من الأقالــيم إلا بعد أن يستقر الرأي على الغزو . [٥] يقول ابن تغرى بردى عن كتــبغانوين [٦] : " كــان هولاكو ملك التتار يثق به ، ولا يخالفه فيما يشير إليه ، ويتبرك برأيــه " ومن هذه المشاركات الفعلية فى المشورة فى الرأي أن هولاكــو عــزم علــى إحراق مدينة بغداد ، لما أراد الرحيل منها ، فقال

---

[١] ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول . ص٢٠٦ .
[٢] النويري : نهاية الارب : جـ٢٧ ص٣١٧ .
[٣] اليافعي : مرآة الجنان . جـ٤ ص٦٥ .
[٤] ابن كثير : البداية والنهاية . جـ١٣ ص٢٩٢ .
[٥] د/ الصياد : المغول فى التاريخ . ص٣٦٤ بتصرف بسيط .
[٦] النجوم الزاهرة : جـ٧ ص٨٣ .

كتبغانوين : إن هذه المدينة أم المدن ، ومقصد التجار وإذا أبقاها الملك حصل منها مال جزيل ، فأبقاها . [١]

ومن الروايات الدالة على المشورة فى الرأي فيما بينهم ما ذكره ابن كثير ـ عن موقف أبغاخان من واقعة حمص سنة ٦٨٠هـ والتى هزم فيها التتار ـ بقوله [٢] : " ولم تكن وقعة حمص هذه برأيه ولا عن مشورته ولكن أخوه منكوتمر أحب ذلك فلم يخالفه".

ولم يكن المغول يتركون المشورة حتى فى ساحات القتال نفسها وليس قبل ذهابهم للغزو فقط . فعلى أثر هزيمة قطلو شاه ـ نائب غازان ـ من المماليك سنة ٧٠٢هـ ، جمع قطلو شاه أصحابه وشاورهم فيما يفعل [٣] لاشك أن المشورة فى الرأي من الصفات الحسنة فى المغول ؛ لأنها تعمل على عدم الاستبداد بالرأي ، مما يقلل من احتمالات الوقوع في الأخطاء.

٥ـ *المحاكمات العسكرية*

من الأمور الحسنة فى المقاتل المغولي بل والنظام العسكري المغولي عموماً ـ والتي ذكرتها المصادر العربية باستفاضة ـ نظام المحاكمات العسكرية ، والتي تقوم فكرتها على عقاب المقصرين من بني جنسهم والمتسببين فى إلحاق الخسائر الفادحة بهم ، ولعل الخوف من هذه المحاكمات هو الذى جعل المقاتل المغولي يقوم بواجبه على أحسن وجه ، بل ويحافظ على الصفات الذميمة والحميدة التى اكتسبها . يقول ابن فضل الله العمري [٤] : " إذا راح من عساكرهم ألف فارس إلى مكان وقتل منهم تسعمائة تسعة وتسعون فارساً ، وسلم ذلك الفارس الواحد ، قتل ذلك الواحد لكونه لم يقتل مع البقية [*] ، اللهم إلا أن حصل النصر لمن سلم ".

---

[١] الدوادار : زبدة الفكرة . ص٧٠ .

[٢] البداية والنهاية : جـ١٣ ص٢٩٧ .

[٣] النجوم الزاهرة : جـ ٨ ص١٢٨ .

[٤] مسالك الابصار : السفر الثالث . ص١٥٤ .

[*] كان الفاشل في أداء الواجب ، أو الخارج على النظام أو العاجز عن القيام بما

لمـــا هـــزم السلطان بيبرس القائد المغولي [درباى] على ضفة الفرات الـــشرقية ســـنة ٦٧١هـــ ، حضر [درباى] عند أبغا بن هولاكو منهزما ، وقـــد فقد رفيقه ــ القائد [جيفرا] ــ وقتل أكثر من معه ، عنفه أبغا وعدد له ذنوبه وقال لـــه : كيف انهزمت ؟ وما جرحت ؟ وقتل رفيقك وما قتلت ؟ وأمر بالحوطة عليه وإبعاده ، وإعطاء تقدمته ــ قيادته ــ لأبطاى.[١]

وعقـــب هـــزيمة المغـــول فى صحراء الأبلستين على يد السلطان الظاهـــر بيبـــرس ســـنة ٦٧٥هـــ ، نهض أبغاخان وجاء حتى شاهد بنفسه مكان المعركة ومن فيها من قتلى المغول ، فأعظم ذلك وحنق على البرواناة ... وازداد غـــيظ أبغـــا عليه ولاسيما لما شاهد قتلى المغول الأكابر ، وأن القتلـــى جميعاً من عسكر التتار وليس فيهم أحد من الروميين وتحقق عنده مخامرة البرواناة وتخاذل عسكر الروم ، فعند ذلك أمر بنهب بلاد الروم ... وقتل البرواناة . [٢]

وعقب هزيمة التتار سنة ٧٠٢هـــ جلس غازان وأوقف قطلو شاه وجوبان وسوتاى ومن كان معهم من الأمراء ، وأنكر على قطلو شاه وأمر بقتله ، فما زالوا به حتى عفى عنه من القتل ... وضرب غازان [بولاى] عدة عصى وأهانـــه . [٣]

=وكـــل إلـــيه ، يعاقب بالموت هو وزوجته وأولاده . د/ الصياد : المغول فى التاريخ . ص٣٦١ .

(١) العينى : عقد الجمان . حوادث سنة ٦٧١هـــ . ص١٠٢ .

(٢) المصدر السابق . حوادث سنة ٦٧٥هـــ . ص١٦٣ ــ ١٦٤ .

(٣) المقريزي : السلوك . جـــ١ قسم٣ ص٩٣٨ .

غريزة الخوف فى المقاتل المغولي

على الرغم أن المقاتل المغولي ، كان يتصف بالعديد من الصفات الذميمة والحميدة ، وكان من أبرز هذه الصفات الوحشية التى لا مثيل لها ، وكذلك جسارته وسرعته فى القدوم على المهالك ، إلا أن المصادر العربية استطاعت أن تصور لنا صفة أو غريزة أساسية فى هذا المقاتل ، كان له فيها نصيب كبير ، مثله مثل غيره من بني الإنسان ، وهي غريزة الخوف .

يقول ابن واصل [١] : " لما رأى التتر كثرة المضايق والدربندات فى تفليس لم يتجاسروا على الوغول فيها " ، وعندما سار التتار إلى مدينة [كنجه] علموا بكثرة أهلها وشجاعتهم لكثرة درايتهم بقتال الكرج وحصانتها ، فلم يقدموا عليها ، فأرسلوا إلى أهلها يطلبون منهم المال والثياب فجملوا إليهم ما طلبوا ، فساروا عنهم [٢] وفى سنة ٦١٧هـ كرّ التتار نحو إربل ، فاجتمع لحربهم عسكر العراق والموصل مع صاحب إربل فهابوهم وعرجوا على همذان . [٣] وزادت غريزة الخوف عند المقاتل المغولي أكثر عقب هزيمته فى عين جالوت سنة ٦٥٨هـ ، ففى سنة ٦٩٩ هـ بلغ من تأخر فى بلاد الشام من التتار ـ بعد غزوهم لها ـ حركة السلطان ، فاشتد خوفهم . [٤]

هروب [*] المقاتل المغولي وفراره

من الأقاويل التى كانت شائعة عن المقاتل المغولي ـ خاصة فى بداية غزوه لبلدان آسيا وأوروبا ـ أنه لا يهزم ولا يأسر ولا يفر أبداً . وقد ورد فى المصادر العربية ـ فضلاً عما ذكر آنفاً فى الحرب النفسية ـ ما

---

(١) مفرج الكروب : جـ٤ ص٥٣ .

(٢) ابن الأثير : الكامل . جـ١٢ ص٣٨٣ .

(٣) اليافعي : مرآة الجنان . جـ٤ ص٣٧ .

(٤) المقريزي : السلوك . جـ١ قسم٣ ص٩٠٠ .

(*) إن المقصود بهروب المقاتل المغولي وفراره هنا ، هو الهروب الفعلي المبني على الخوف من عدوه ، وليس الهروب أو الانسحاب ـ السابق ذكره ـ كطريقة من طرقه فى ممارسة القتال .

يـؤكد ذلـك يقـول ابـن الأثير [١] : " سمعت من بعض أكابر الكرج ، قدم رسـولاً ، أنه قال : من حدثكم أن التتر انهزموا وأسروا فلا تصدقوه ، وإذا حـدثهم أنهـم قتلوا فصدقوا ، فإن القوم لا يفرون أبداً ، ولقد أخذنا أسيراً منهم ، فألقى نفسه من الدابة وضرب رأسه بالحجر إلى أن مات ، ولم يسلم نفـسه للأسـر " . ويقول العيني أيضاً [٢] : " قتل كتبغانوين فى المعركة ـ عين جالوت ـ وأسر ابنه وكان شاباً حسناً ، فأحضر بين يدي المظفر قطز فقـال لـه : أهـرب أبـوك ؟ فقال : إنه لا يهرب ، فطلبوه فوجدوه بين القتلى".

فى الحقيقة لا نكاد نعثر فى المصادر العربية على ما يشير إلى أن المقاتـل المغولي كان يفر من عدوه قبل واقعة عين جالوت سنة ٦٥٨هـ ، فراراً مبنياً على الخوف ، لكنه فرار مبني على الاحتراف فى القتال والتحيز إلـى فـئة ـ وهـو الانـسحاب المذكر آنفاً ـ لكن عقب عين جالوت نجد المـصادر العربية تكثر من حديثها عن فرار هذا المقاتل من عدوه ، وسياق الأحداث يدل على أنه كان هروباً مبنياً على الخوف الفعلي .

فعقـب عـين جالـوت تعلق من سلم منهم برؤوس الجبال وتبعهم المسلمون فأفنوهم،وهرب من سلم إلى الشرق،وجرد السلطان قطز، بيبرس البـندقدارى فـى أثـرهم فتبعهم إلى أطراف البلاد [٣] ، ولما سار قطز إلى دمـشق ـ لتحريرها ـ هرب من كان بها من التتر ، وقتل من وجد بها من بقاياهم . [٤] ثم توالى بعد ذلك هروب المقاتل المغولي ، فبعد أن هزم التتار مـن المـسلمين سـنة ٦٨٠هـ افترقوا فرقتين فرقة أخذت جهة سليمة ـ إحدى بلدات الشام ـ والبرية وفرقة أخذت جهة حلب والفرات ... وقتل من التتـر فى الهزيمة أكثر من الذين قتلوا فى المصاف ، واختفى منهم طايفة بجانب الفرات فأمر السلطان أن تضرم النيران بالأزوار [*] التى على الفرات

---

(١) الكامل فى التاريخ . جـ١٢ ص٣٨٤ .

(٢) عقد الجمان . حوادث سنة ٦٥٨هـ . ص٢٨١ .

(٣) ابن الوردى : تاريخ ابن الوردى . جـ٢ ص٢٠١ .

(٤) ابن خلدون : العبر . ص٢٨٠ .

(*) الأزوار : جمع [زاره] أو [زور] وهي الأجمة ذات الماء والحلفاء والقصب

فاحتـرق أكثـر مـن اختفى فيها ... وجرد السلطان وراءهم من طاردهم ، فتبعوهم إلى الفرات فهلك منهم خلق عظيم غرقوا عند عبورهم الفرات . [١]

يقـول ابـن كثير عن هزيمة التتار سنة ٧٠٢هـ [٢] : " لما جاء الليـل لجـأ التتر إلى اقتحام التلول والجبال والآكام ، فأحاط بهم المسلمون يحرسونهم من الهرب ، ويرمونهم عن قوس واحده إلى وقت الفجر ... ثم كانـوا يتساقطون فى الأودية والمهالك ، ثم بعد ذلك غرق منهم جماعة فى الفـرات بسبب الظلام " . وبعد أن كان المغول يستخدمون آلات الحصار فى إرهـاب سـكان المـدن وتخويفهم [*] أصبحوا بعد ذلك يفرون ويتركوا هذه الآلات وراء ظهورهـم غنيمـة للمسلميـن ، من ذلك أن القائـد المغولي [دربـاى] قـد نصب على البيرة سبعة عشرة منجنيقاً ، فلما ولوا هاربين عدى العسكر ــ الإسلامي ــ الفرات ، ونهبوا المجانيق وسائر الآلات . [٣]

نهاية أسطورة المقاتل المغولي

لقـد حكيت حول المقاتل المغولي عندما خرج من دياره لغزو بلدان آسـيا وأوربـا ، العديـد من القصص والحكايات ، التى صورته فى صورة المقاتـل الأسـطوري ، الـذى لا يهزم ولا يفر ولا يؤسر ، بل وبمجرد أن تـسمع سـيرته بين أهالي البلدان ، ترتعد فرائصهم ، بل وفرائض ملوكهم أيضا .

يقـول ابن أبى الحديد عن السلطان خوارزم شاه نفسه [٤] : " كان

=، وتكثر على أطراف الفرات . دهمان : معجم الألفاظ التاريخية . ص١٤ .

[١] تاريخ ابن الفرات : جـ٧ ص٢١٨ ــ ٢٢١ .

[٢] البداية والنهاية : جـ١٤ ص٢٦ .

[*] مـن ذلـك أن القائد المغولي [أرقطوا] وصل إلى إربل بمن معه من عساكر التـتار ، فأمر أن ينصب عليها المجانيق تخويفا لمن فيها . ابن العميد : أخبار الأيوبيين . ص٤٥ .

[٣] الدوادار : زبدة الفكرة . ص١٢٧ .

[٤] شرح نهج البلاغة : جـ٢ ص٣٦٦ .

يهذى بالتتار بكرة وعشية ، وكل وقت وكل ساعة ، ويقول : هو ذا هم قد خرجوا من هذا الباب ، قد هجموا من هذه الدرجة ، ويرعد ويحول لونه ويختل كلامه وحركاته ... وكان يلهج لما تغير عقله بكلمة كان يقولها [قرا تتر كلدى] يكررها وتفسيرها التتر السود قد جاؤا " . على الرغم من من مبالغة ابن أبى الحديد فى تصوير مدى خوف السلطان خوارزم شاه من المغول ــ لأن خوارزم شاه هو أكثر من حاربهم ــ إلا أن هذه الرواية ومثيلاتها تبين مدى الخوف والفزع من هذا المقاتل ، لأن هذه الروايات كانت تتناقل بين الناس حينذاك ، وتصدقها الأنفس الضعيفة .

ويقول ابن الأثير عن هذه القوة الخارقة للمقاتل المغولي والتى آمن بها الناس على عهده [1] : " إن رجلاً من التتر دخل دربا فيه مائة رجل ، فمازال يقتلهم واحداً واحداً حتى أفناهم ، ولم يمد أحد يده إليه بسوء ، ووضعت الذلة على الناس فلا يدفعون عن نفوسهم قليلاً ، ولا كثيراً ، نعوذ بالله من الخذلان " . ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد ، فقد عمل المقاتل المغولي ذاته على إضفاء نوع من أنواع الأسطورة حول نفسه ، بأنه ذو قوة خارقة ، ولا يعجزه شئ على الأرض ، وقد أكد ذلك نص البشارة الواردة إلى القاهرة بنصر المسلمين على التتار فى إحدى المواقع والتى جاء فيها : إن التتار المخذولين جمعوا كل من اعتقدوا فى ظنهم أنه يهزم الجمع بمفرده ، وانتخبوا كل شجاع لا يألف غير ظهور الجياد من يوم مولده واحتفلوا احتفالاً بمقدمي التومانات الذين ما سمع قط أنهم فى معركة هابوا ولا هانوا ... وطلعوا على بلاد الإسلام طلوع القضاء النازل ... واثقون بأنهم لا ينجوا منهم سكان البراري ولا القفار ولا المحتجبون بأسوار البحار ... [2]

إذا كانت موقعة عين جالوت سنة ٦٥٨هـ ، هي البداية الحقيقية لنهاية أسطورة المقاتل المغولي التى تدعى أنه لا يهزم ولا يفر ولا يؤسر ، فإن أسطورته هذه ما كانت إلا أكذوبة ، حتى قبل عين جالوت نفسها ، فلم يكن الأمر يستدعى لكشف قدراته الحقيقية غير مواجهته بحزم فقط ، يقول

---

[1] الكامل فى التاريخ : جـ١٢ ص٣٧٨ .

[2] تاريخ ابن الفرات : جـ٧ ص٢٢٣ .

ابن الأثير عن دخول التتار لإحدى البلدان الإسلامية [١] : " حكى إنسان من أهلهـا قـال : لو كان عندنا خمس مائة فارس لم يسلم من التتر أحد ؛ لأن الطـريق ضيق بين الجبال ، والقليل يقدر على منع الكثير " ، ويقول مؤكداً ذلك فى موضع آخر [٢] : " وحكى لي رجل قال : كنت أنا ومعي سبعة عشر رجلاً فى طريق ، فجاءنا فارس من التتر ، وقال لنا حتّى يكتف بعضنا بعضاً فـشرع أصـحابي يفعلـون مـا أمرهم ، فقلت لهم : هذا واحد فلم لا نقتله ونهرب؟ فقالوا : نخاف ، فقلت : هذا يريد قتلكم الساعة ، فنحن نقتله فلعل الله يخلصنا ؛ فوالله ما جسر أحد [أن] يفعل ، فأخذت سكيناً وقتلته وهربنا فنجونا ، وأمثال هذا كثير " .

لكـن عـندما صـدقت نـيات المسلمين فى مواجهة هذا المقاتل ، انكـشفت قدراتـه على حقيقتها ، وقد تمثل صدق النية لله فى عين جالوت التـى قلبت جميع الموازين العسكرية المغولية ، لدرجة أن هولاكو لما بلغه كـسرة عسكره وقتل نائبـه كتبغا عظم عليه ؛ لأنه لم يكسر له عسكر قبل ذلـك . [٣] ثـم توالت الهزائم على المقاتل المغولي ، ففي سنة ٦٥٩هـ ـ بعـد عين جالوت ـ التقى المسلمون والتتر بظاهر حمص فى نهار الجمعة ـ خـامس المحرم ـ وكان التتر أكثر من المسلمين بكثير ففتح الله تعالى على المسلمين بالنصر وولى التتر منهزمين . [٤]

هكـذا عـرف المقاتـل المغولي الهزيمة وذاق مرارتها ، كما تعلم الهـرب والفرار ، بعد أن كان لا يعرف معناه ، بل ووقع فى الأسر ، يقول بيبرس الدوادار عن دخول السلطان المنصور قلاوون إلى القاهرة والأسرى بـين يديـه[٥] : " وشق وسط المدينة وإساري التتار بين يدي المواكب ... وسناجقهم بأيديهم منكوسة ، وطبولهم على أكتافهم معكوسة " . وإذا كانت عـين جالـوت هي بداية النهاية للمقاتل المغولي ، فإن هزيمة المغول سنة

---

[١] الكامل فى التاريخ : جـ١٢ ص٥٠٠ .

[٢] المصدر السابق : جـ١٢ ص٥٠١ .

[٣] المقريزي : السلوك . جـ١ قسم٢ ص٤٣٤ .

[٤] ابن أبي الفداء : المختصر . جـ٣ ص٢٠٩ .

[٥] التحفة الملوكية . ص١٠٣ .

٧٠٢هـ على يد المماليك ، كانت بمثابة الضربة القاضية على هذا المقاتل ، ولم تقم له قائمة تكاد تذكر بعد ذلك . فقد هزم التتار وتخطفهم الناس إلى الفرات ، وسلم شطرهم فى ضعف شديد وجوع وحفاء [١] واستمر الأمراء المماليك فى تتبعهم ، حتى كلّت خيول التتر ، وضعفت نفوسهم وألقوا أسلحتهم ، واستسلموا للقتل ، والعساكر تقتلهم بغير مدافعة ... وقتل الواحد من العسكر العشرين من التتر فما فوقها . [٢]

وعقب الهزيمة وصل خبر كسرتهم إلى همذان فوقعت الصرخات فى بلادهم وخرج أهل توريز وغيرها إلى لقائهم واستعلام من فقد منهم ، فأقامت النياحة فى توريز شهرين على القتلى وبلغ غازان الخبر فاغتم غماً عظيماً وخرج من منخريه دم كثير حتى أشفى على الموت ... فإنه لم يصل إليه من كل عشرة واحد . [٣]وفى سنة ٧٠٣هـ هلك غازان بن أرغون ... وكان سبب هلاكه مع انقضاء أجله ما جرى على عساكره من الكسرة التى عفت آثارهم وقطعت أعمارهم وأذاقتهم مرارة الإذلال . [٤]

---

[١] اليافعي : مرآة الجنان . جـ٤ ص٢٣٦ .

[٢] المقريزي : السلوك . جـ١ قسم٣ ص٩٣٦ .

[٣] المصدر السابق : جـ١ قسم٣ ص٩٣٧ .

[٤] الدوادار :التحفة الملوكية . ص١٧٤ .

الخاتمـــــــة

مـــن خـــلال العرض السابق لموضوعات البحث ، يمكن أن نخلص منه بالنتائج الآتية :ـ

١ـــ أن المـــصادر العـــربية التي دونت تاريخ المغول ، امتازت بمواردها الأصـــلية في عملية التدوين ، مثل : المعاصرة والمشاهدة والسماع ، وأن ا نقلـــته من أخبار عن المغول من المصادر الفارسية ، لا يتعدى نظم المغول القديمة قبل قدومهم إلي ديار الإسلام .

٢ـــ تبـــين من خلال البحث أن المقاتل المغولي قد توفرت لديه العديد من العـــوامل والمؤثـــرات التي ساعدت على تكوين شخصيته ، حيث كان يعيش في موطنه الأصلي في ظروف صعبة قاسية ، فضلاً عن طريقته الخاصة في المأكل والمشرب والملبس .

٣ـــ أظهـــرت الدراســـة أن للمقاتل المغولي مركزاً ممتازاً في بنية الجيش المغولـــي ، بل كان هو عصب هذا الجيش ، ولم تكن صفة (المقاتل) تنطـــبق على الجندي المغولي العادي فقط ، بل على القادة وحتى على النساء منهم .

٤ـــ وضح من خلال البحث أن المقاتل المغولي كان له عتاده الخاص به ، مـــن أسلحة وملبس ومركب ، وامتاز بشكل عام ، ولم يكن في مقدور معاصريه أن يتشبهوا به .

٥ـــ أبانـــت الدراســـة أن المقاتـــل المغولي كانت له طرقه الخاصة به في ممارسة القتال ، وكذلك في حصار المدن والقلاع ، وكانت هذه الطرق ـــ البشعة منها ـ مرتبطة بعوامل بناء شخصيته قبل غزوه الكاسح لبلدان العالم .

٦ـــ تبـــين مـــن خلال الدراسة أن المصادر العربية كانت منصفة في رسم صـــورة المقاتـــل المغولي ، وظهر هذا جلياً عندما تحدثت عن صفات هذا المقاتل ، فذكرت ما له وما عليه من صفات حميدة وذميمة ، وهو مـــا يـــدعم موقفها ويجعلها في مقدمة المصادر التي كتبت عن تاريخ المغول ، بل وينفى عنها تهمة التحامل على الأمة المغولية .

المصادر والمراجـــع

أولاً : المصادر

ابن الأثير : محمد بن محمد الشيباني المعروف بابن الأثير . ت ٦٣٠ هـ .

١ــ الكامــل فى التاريخ . ط ــ دار صادر ــ بيروت ــ الطبعة السادسة سنة ١٩٩٥م .

ابن تغرى بردى : أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتاكبى . ت ٨٧٤هـ

٢ــ النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة . ط ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان ــ الطبعة الأولى سنة ١٩٩٢م .

الجزرى : محمد بن ابراهيم بن أبى بكر الجزرى . ت ٧٣٨هـ .

٣ــ حــوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه . تحقيق د/ عمــر عبد السلام تدمرى . ط ــ المكتبة العصرية ــ صيدا ــ لبنان الطبعة الأولى سنة ١٩٩٨م .

الجويني : عطا ملك الجويني . ت ٦٨١هـ .

٤ــ تاريخ فاتح العالم . نقلة عن الفارسية د/ محمد التونجي ــ ط ــ دار الملاح ــ سوريا ــ الطبعة الأولى سنة ١٩٨٥م .

ابن حبيب : الحسن بن عمر بن الحسن بن حبيب . ت ٧٧٩هـ .

٥ ــ تذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه . تحقيق د/ محمد محمد أمين ــ ط ــ دار الكتب المصرية سنة ١٩٧٦م .

ابن أبى الحديد : عبد الحميد بن هبه الله المدائني المعروف بابن أبى الحديد .

٦ــ شــرح نهج البلاغة .ط ــ دار الأندلس ــ بيروت ــ لبنان ــ لم تذكر سنة الطبع .

الحموي : ياقوت الحموي .

٧ـــ معجم البلدان .ط ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان سنة ١٩٧٩م .

الحنبلي : عبد الحي بن العماد الحنبلي . ت١٠٨٩هـ .

٨ ـ شذرات الذهب فى أخبار من ذهب . ط ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لم تذكر سنة الطبع .

ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون . ت٨٠٨هـ .

٩ـــ العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر .ط ـ مؤسسة حسان ـ بيروت ـ لبنان ـ لم تذكر سنة الطبع.

١٠ـــ المقدمة . ط ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٩٨م .

الدوادار : بيبرس الدوادار . ت٧٢٥هـ .

١١ـــ التحفة الملوكية فى الدولة التركية .تحقيق د/ عبد الحميد صالح حمدان . ط ـ الدار المصرية اللبنانية ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٨٧م .

١٢ـ زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة . تحقيق د/ زبيدة عطا . ط ـ مؤسسة عين ـ القاهرة سنة ٢٠٠١م .

الذهبي : الحافظ شمس الدين الذهبي . ت٧٤٨هـ .

١٣ـــ دول الإسلام .تحقيق / فهيم شلتوت . ط ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م.

١٤ـــ سير أعلام النبلاء . ط ـ دار الفكر ـ بيروت ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٩٧م .

١٥ـ العبر فى خبر من غبر . تحقيق / أبو هاجر زغلول . ط ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ لم تذكر سنة الطبع .

الزردكاش : أرنبغا الزردكاش .

١٦ــــ الأنيق فى المناجيق . تحقيق د/ نبيل عبد العزيز . ط ــ مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨م

السيوطي : جلال الدين السيوطي . ت٩١١هـ .

١٧ــــ تاريخ الخلفاء . تحقيق / محمد محيى الدين عبد الحميد ــ ط ــ مطبعة السعادة ــ القاهرة الطبعة الأولى سنة ١٩٥٢م .

ابن شداد : محمد بن علي بن ابراهيم بن شداد . ت ٦٨٤هـ .

١٨ــــ الأعلاق الخطيرة فى ذكر أمراء الشام والجزيرة . تحقيق / يحيى زكريا عبارة ــ ط ــ وزارة الثقافة ــ سوريا سنة ١٩٩١م .

الطرسوسى : مرضى بن علي بن مرضى الطرسوسى . ت٥٨٩هـ .

١٩ــــ تبصرة أرباب الألباب فى كيفية النجاه فى الحروب من الأنواء ونشر أعلام الأعلام فى العدد والآلات المعينة على لقاء الأعداء . تحقيق / كارين صادر ــ ط ــ دار صادر ــ بيروت ــ لبنان ــ الطبعة الأولى سنة ١٩٩٨م .

ابن العبرى : غريغوريوس بن أهرون الملطي المعروف بابن العبرى . ت٦٨٩هـ .

٢٠ــ مختصر تاريخ الدول (*) . وضع حواشيه / خليل منصور ــ ط ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان ــ الطبعة الأولى سنة ١٩٩٧م .

العسقلاني : أحمد بن حجر العسقلاني . ت٨٥٢هـ .

٢١ــــ الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة . تحقيق الشيخ / عبد الوارث محمد علي ــ ط ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان ــ الطبعة الأولى سنة ١٩٩٧م .

(*) تم الاعتماد فى هذه الدراسة على كتاب [مختصر تاريخ الدول] لابن العبرى ، ولم يتم الاعتماد على كتابه الأخر [تاريخ الزمان] على الرغم من ترجمته للعربية على أساس أن صاحبه كتبه فى الأصل باللغة السريانية.

العمرى : أحمد بن فضل الله العمرى . ت٧٤٩هـ .

٢٢ـ مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار . تحقيق د/ أحمد عبد القادر الشاذلي ـ ط ـ المجمع الثقافي ـ أبو ظبي ـ الإمارات العربية المتحدة سنة ٢٠٠٣م .

ابن العميد : المكين جرجس بن العميد .

٢٣ـ أخبار الأيوبيين . تحقيق / كلود كاهن ـ ط ـ مكتبة الثقافة الدينية ـ القاهرة ـ لم تذكر سنة الطبع .

العيني : بدر الدين محمود العيني . ت٨٥٥هـ .

٢٤ـ عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان (*) . تحقيق د/ محمد محمد أمين ـ ط ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٨م.

أبو الفداء : عماد الدين إسماعيل أبو الفداء . ت٧٣٢هـ .

٢٥ـ المختصر فى أخبار البشر . ط ـ المطبعة الحسينية المصرية ـ لم تذكر سنة الطبع .

ابن الفرات : محمد بن عبد الرحيم بن الفرات .

٢٦ـ تاريخ ابن الفرات . تحقيق : د/ قسطنطين زريق ـ ط ـ كلية الآداب ـ جامعة البصرة سنة ١٩٧٠م .

القلقشندي : أحمد بن علي القلقشندي . ت٨٢١هـ .

٢٧ـ صبح الأعشى فى صناعة الإنشا . وزارة الثقافة والإرشاد ـ لم تذكر سنة الطبع.

الكتبى : محمد بن شاكر الكتبى . ت٧٦٤هـ .

٢٨ـ فوات الوفيات . تحقيق الشيخ / علي معوض وصحبه ـ ط ـ دار

(*) تم الاعتماد على عقد الجمان تحقيق د/ عبد الرازق الطنطاوي . ط ـ الزهراء للإعلام العربي ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٨٩م ، ولكن في مواضع قليلة جداً .

الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان ــ الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٠م .

ابن كثير : أبو الفداء الحافظ إسماعيل بن كثير . ت٧٧٤هـ .

٢٩ــ البداية والنهاية . ط ــ مكتبة المعارف ــ بيروت ــ الطبعة الأولى ١٩٩٦م .

مجهول : مجهول .

٣٠ــ خزانة السلاح .تحقيق د/ نبيل عبد العزيز ــ ط ــ مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٨م.

المقريزي : أحمد بن علي المقريزي . ت٨٤٥هـ .

٣١ــ السلوك لمعرفة دول الملوك . وضع حواشيه د/ محمد مصطفى زيادة ــ ط ــ لجنة التأليف والترجمة ــ القاهرة الطبعة الثانية سنة ١٩٥٧م .

٣٢ــ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية . ط ــ دار صادر ــ بيروت ــ لبنان ــ لم تذكر سنة الطبع .

النسوى : محمد بن أحمد النسوى .

٣٣ــ سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى .تحقيق د/ حافظ أحمد حمدي ــ ط ــ دار الفكر العربي ــ القاهرة سنة ١٩٥٣م .

النويري : أحمد بن عبد الوهاب النويري . ت٧٢٣هـ .

٣٤ــ نهاية الأرب فى فنون الأدب .تحقيق د/ سعيد عاشور ــ ط ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٥م.

ابن واصل : جمال الدين محمد بن سالم بن واصل . ت٦٩٧هـ .

٣٥ــ مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب . تحقيق د/ حسين محمد ربيع ــ ط ــ دار الكتب المصرية سنة ١٩٧٢م .

ابن الوردى : عمر بن مظفر الشهير بابن الوردى . ت٧٤٩هـ .

٣٦ــ تاريخ ابن الوردى . ط ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ الطبعة الأولى سنة ١٩٩م.

اليافعي : عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي . ت٧٦٨هـ .

٣٧ــ مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان . ط ــ دار الكتاب الإسلامي ــ القاهرة ــ الطبعة الثانية سنة ١٩٩٣م .

اليونيني : موسى بن محمد اليونيني . ت٧٢٦هـ .

٣٨ــ ذيــل مرآة الزمان .ط ــ دار الكتاب الإسلامي ــ القاهرة ــ الطبعة الثانية ١٩٩م.

ثانياً : المراجع العربية والمعّربة

البقلي : محمد البقلي .

١ــ التعريف بمصطلحات صبح الأعشى.ط ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٤م.

خطاب : محمود خطاب .

٢ــ الرسول القائد .ط ــ مكتبة الحياة ــ بيروت ــ لبنان ــ الطبعة الثانية سنة ١٩٦٠م.

دهمان : محمد دهمان .

٣ــ معجم الألفاظ التاريخية فى العصر المملوكي .ط ــ دار الفكر ــ دمشق ــ الطبعة الأولى سنة ١٩٩٠م .

سليمان : د/ حربي أمين سليمان .

٤ــ المؤرخ الكبير غياث الدين خواندمير كما يبدو فى كتابه دستور الوزراء ط ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٠م .

السيد : د/ علي أحمد السيد .

٥ــ مشاهدات أودوريك دوبوردنون الفرنسسكاني فى الصين [توفى عام ١٣١٣م] . ط ــ كلــية الآداب ــ جامعة الإسكندرية ــ فرع دمنهور ــ لم تذكر سنة الطبع .

الصياد : د/ فؤاد عبد المعطي الصياد .

٦ــ المغول فى التاريخ . ط ــ دار النهضة العربية ــ بيروت ــ لبنان سنة ١٩٧٠م .

العريني : د/ السيد الباز العريني .

٧ــ المماليك .ط ــ دار النهضة العربية ــ بيروت ــ لبنان ــ لم تذكر سنة الطبع .

ماير : ل. أ . ماير .

٨ــــ الملابس المملوكية . ترجمة / صالح الشيتى . ط ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ..

مصطفى : شاكر مصطفى .

٩ــــ التاريخ العربي والمؤرخون . ط ــ دار العلم للملايين ــ بيروت ــ الطبعة الأولى ١٩٧٩م .

ثالثـــاً : الدوريات

الثقافة العالمية : مجلة دورية تصدر كل شهرين عن المجلس الوطني للثقافة ــ الكويت .